دراسات في
علوم القرآن الكريم

تأليف
د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية المشارك
كلية المعلمين بالرياض

١٤١٥هـ

مكتبة
التوبة

حقــوق الطبــع محفوظـة للمؤلف

الطبعَـة الرابعَـة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

عنوان المؤلف: المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤
هاتف: ٤٧٦٦٢٧٩

مكتبة التوبة
الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥
فاكس: ٤٧٩٠٤٤٣

دراسات في

علوم القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»(١)

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»(٢).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»(٣).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وإن القرآن كلام الله سبحانه أودع فيه الهدى والنور وأبان فيه العلم والحكمة، فأقبل العلماء ينهلون من معينه و يعبون من نقاخه فاستنبط الفقهاء من أحكامه، واهتدى أهل البيان بنظامه، وتفكر المتفكرون في قصصه وأخباره، وتأملت طائفة في حججه و براهينه.

---

١ ـ سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

٢ ـ سورة النساء: الآية الأولى.

٣ ـ سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ـ٧١.

واقبلت طائفة على تاريخ نزوله ومكيه ومدنيه وأول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول، وجمعه وتدو ينه وترتيبه وناسخه ومجمله ومبينه وأمثاله وقصصه وأقسامه وجدله وتفسيره حتى أصبحت هذه المباحث علوما واسعة غاص في بحورها العلماء واستخرجوا منها الدرر، واتسعت هذه الأ بحاث حتى احتاج الناس إلى من يجمعها بإيجاز، و يتحدث عنها بإختصار.

وقد ألف العلماء في كل عصر مؤلفات تناسب معاصريهم في الأسلوب والتنظيم والترتيب والتبو يب وما زالوا يؤلفون وكل منهم يبذل جهده و يتحرى ما وسعه التحري ان يبسط هذه العلوم بأسلوب ميسر يدني فيه البعيد و يوضح فيه المستغلق ويجلو به المبهم.

ثم رأيت ان أشارك بالتأليف في هذه العلوم بجهدي المقل وان لم أكن من أر بابها بأسلوب حرصت على أن يكون ميسرا و بطر يقة حرصت على أن تناسب الراغبين في التحصيل اسأل الله العون والتوفيق إنه سميع مجيب.

المؤلف

المعجزة الكبرى:

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في أحسن تقويم «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»(١) وركب خلقه من جسد وروح، وجعل للجسد غذاءه وللروح غذاءها.

أما الجسد فجسم مادى يتغذى بالماديات وهى طعامه وشرابه وعلى الجسد أن يسعى لتحصيلها بالزراعة أو الصيد أو غيرها. وقد أعان الله الأجساد بتقريب غذائها إليها فليس عليها إلا أن تبذر البذرة أو تغرس الغرسة وترعاها فتنبت بإذن ربها ولو سلب الله من النبات هذه الخاصية لما كان لهذه الأبدان من قوة للإنبات «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ»(٢) وأدنى إليها الماء ليسهل إخراجه ولو بعد غوره لما استطاعت إخراجه «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ»(٣).

أما الروح وما أدراك ما الروح فقد أعانها الله تعالى على تحصيل غذائها وأدناه إليها وأرسل الرسل تهدى إليه ووهب العقول تؤمن به.

فإذا انحرفت أمة من الأمم عن سمت الصراط المستقيم أرسل الله إليهم رسولا منهم يعيدهم إليه و يظهر الله على يديه من المعجزات ما يظهر بها صدقه وتقوم بها حجته.

وقد كانت سنة الله تعالى في المعجزات أن تكون المعجزة التى يظهرها

---

١ ــ سورة التين: الآية ٤.
٢ ــ سورة الملك: الآية ٢١.
٣ ــ سورة الملك: الآية ٣٠.

الله على يد كل نبي من أنبيائه من جنس ما برع فيه قومه وتفوقوا حتى تكون أقوى حجة وأظهر برهانا وأصدق دليلا.

والتحدى أقوى ما يكون إذا تحديت إنسانا فيما ظهر فيه وتفوق فإذا تحدى شاب في سباق طويل رجلاً عجوزاً لا يكاد يقوم من مقعده إلا بعصا تسنده ولا يكاد يمشي إلا دبيبا فإن تحديه هذا يكون موضع سخرية وهزء لا محل احترام وتقدير، ولكن التحدي يلقى التقدير إن تحدى شابا أفضل منه اشتهر بسرعة عدوه وتفوق فيه.

وهكذا كانت المعجزات التي يظهرها الله على يد أنبيائه تكون في نطاق ما يعرفون بل فيما فاقوا فيه معاصريهم.

وتدبر ــ مثلا ــ معجزة موسى عليه السلام. أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم قد نالوا في السحر درجة وشأوا بعيدا حتى امتلأت البلاد منهم والسحر له حد ينتهي إليه لا يتجاوزه، فالساحر لا يستطيع أن يحول قطعة ورق إلى فئة نقدية (حقيقة) بل (يخيل) لك ذلك فاذا غاب عنك عادت إلى الحقيقة فإذا بها قطعة ورق.

والسحرة يلقون حبالهم وعصيهم أمام موسى (فيخيل) إليه أنها تسعى «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ»(١) وذلك لأنها لم تتحول حقيقة وإنما تحولت خيالا.

وحين ألقى موسى عليه السلام عصاه لم يقل الله يخيل اليهم أنها تسعى وإنما قال سبحانه «فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ»(٢).

---

١ ــ سورة طه: الآية ٦٦.

٢ ــ سورة طه: الآية ٢٠.

ذلكم أنها تحولت حقيقة إلى ثعبان وهذا لا يمكن حدوثه في عالم السحر(١).

إذاً فمعجزة موسى عليه السلام من جنس ما برع فيه قومه فكلاهما تحويل من حال إلى حال إلا أن السحر من حقيقة إلى خيال وأما معجزة موسى فمن حقيقة إلى حقيقة وإذا عجز عنه أولئك فهم عن غيره مما لم يبرعوا فيه أعجز.

ولهذا كان أول من أدرك إعجاز موسى عليه السلام هم السحرة أنفسهم أدركوا من فورهم أن معجزة موسى عليه السلام ليست بسحر وأن السحر لا يصل إلى درجتها وأنها لا يمكن ان تكون من موسى بل هي من رب موسى(٢) وإذا كانت من ربه فإنما أظهرها على يديه لتكون حجة على صدقه فأذعنوا من فورهم واستولى الإيمان على قلوبهم ولم يستأذنوا أحدا لأن ما أدركوا أقوى من أن يترك لهم فرصة للتردد والتشاور.

وانظر معجزة عيسى عليه السلام نما وازدهر الطب في عهده وبرع فيه قومه والطب له حَدُّه الذى ينتهى عنده في علاج الأبدان فهو يعالجها مادامت الروح فيها لم تخرج أما إذا خرجت فقد عجز الطب والأطباء ومن هنا بدأت معجزة عيسى عليه السلام حيث قال «أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ» (٣)

---

١ ــ ينبغي أن نفرق هنا بين حقيقة السحر وتأثير السحر فتأثيره حقيقى فقد يؤثر على العين فترى ما لا حقيقة له، وقد يؤثر على القلوب فيكره الزوج زوجته، وتكره الزوجة زوجها ونحو ذلك.

٢ ــ لذلك لم يقل السحرة آمنا بموسى وإنّما قالوا: (آمنا بربّ هارون وموسى) طه: ٧٠.

٣ ــ سورة آل عمران: الآية ٤٩.

فمعجزته عليه السلام من جنس الطب الذى برع فيه قومه وإذا عجزوا عن الإتيان بمثل ما برعوا فيه فهم عن سواه أعجز و بهذا تكون حجته على قومه أقوى وأظهر.

أما صالح عليه السلام فقد أرسله الله تعالى إلى قوم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ولا تزال آثارهم باقية بزخارفها ونقوشها. والنحات مهما بلغ في فنه يقف عند حد التصوير لا يستطيع أبدا أن يبعث الحياة فيما نحت وجاءت معجزة صالح بأن أخرج لهم بإذن الله من الصخر(١) ــ الذي ينحتون منه ــ ناقة ذات روح تأكل وتشرب وتدر الحليب. والنحات يستطيع ان ينحت من الصخر شكل ناقة لكنه لا يستطيع أن يبعث فيها الحياة فكانت المعجزة من جنس ما تفوقوا فيه وإن لم تكن مثله.

أما العرب وقت بعثة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن نظرة فاحصة إلى مجتمعهم تظهر جليا أن المجتمع كان مجتمعا جاهليا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

أما السياسة فكانت الحكومات تحيط بهم: الأكاسرة في فارس والقياصرة في الروم والمقوقس في مصر والنجاشي في الحبشه، أما الحجاز فلم يكن ثَمَّ ملك أو رئيس أو أمير، وإنما زعماء وصناديد لكل قبيلة تُفَرِّقُ أكثر مما تجمع وتُشَتِّتُ أكثر مما تُوَحِّدُ ولذا كان العرب أمة مستضعفة هانت على الآخرين يذهب زعماؤها إلى الشام مثلا و يدخلونها كما يدخلها أى إنسان لا مزية له ولا مقام، ولوسافر زعيم فارس إلى الروم لاستقبل بالحفاوة وضربت له السرادق واستقبل استقبالا مميزا أما زعماء

---

١ ــ انظر: تفسير الطبرى جـ١٢ ص٥٢٥ وما بعدها، وتفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٤٥.

العرب فكانوا يدخلون الاسواق و يبيعون و يشترون لم يعرف أحد بدخولهم ولم يبال أحد بخروجهم فأنى لمثل هذه الزعامة أن يكون لها جانب مهاب.

وأما الاقتصاد فقوامه الصناعة والزراعة والتجارة. أما الصناعة فلم يكن ثَمَّ صناعة وإن وجد صناع فنجار فارسي أو حداد رومي أو صناعات لا تكاد تذكر.

أما الزراعة فأرضهم غير ذات زرع وإن وجد فالمياه شحيحة والخبرة نادره إلا النخيل على قلته فهو النوع الذى يمكن تخزينه والتجارة به من بلد إلى بلد وما سواه فإما أنه لا ينبت في أرضهم، أو لا يمكن الاحتفاظ به والاتجار لسرعة تلفه في مثل أجوائهم فالزراعة ليست ذات جدوى إقتصادية في بلادهم.

أما التجارة فكانت تقوم على رحلتين رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وما ظنكم بتجارة تلكم وسائلها وإمكاناتها وما تجدى بضاعة تحملها النوق من الشام أو من اليمن إلى مكة بعد مُضِيّ فترة طويلة بين رحلة وأخرى.

وإذا كانت الصناعة والزراعة والتجارة على هذه الحال فكيف سيكون اقتصاد البلاد!! وإذا كان هذا اقتصادهم فكيف ستكون حالتهم المعيشية.

وفي الناحية الاجتماعية كانوا قبائل شتى تقع الحرب بين القبلتين لأتفه سبب وأهونه وتشتعل الحرب في أيام ولا تنطفىء إلا بعد سنوات.

حتى الأسرة يبدو التفكك فيها ظاهرا وكيف ترجو الترابط الأسرى في مجتمع يمتهن المرأة و يعاملها كالسلعة تباع وتشترى وتوهب وتكترى وتورث كما يورث متاع الدار، ومن ثم فلا تعجب إن خمدت عاطفة الأ بوة فيُقْدِم الأب على قتل أولاده لا لشيء إلا خشية الإملاق، و يدفن ابنته وهي حيه لا لشيء إلا خشية العار.

تأمل في هذا المجتمع حيث لا سياسة توحد صفوفهم ولا اقتصاد يجمع كلمتهم و يوطد مصالحهم، ولا سلام يسود بينهم، ديدنهم توارث العداوات والأحقاد ودأبهم السلب والنهب ومعبودهم الأصنام والأ وثان.

وإذا كان الأمر كذلك لا سياسة تشغلهم في بحث شئون الدولة وإصدار الأنظمة والقوانين و بحث العلاقات السياسية مع الدول المجاورة ولا اقتصاد يجمعهم للتداول في أمره والتماس السبل الاقتصادية والمعاملات التجارية أو صناعة تشغل وقتهم أو زراعة تملأ فراغهم إذا كان الأمر كذلك فإن الفراغ عندهم كبير لم يجدوا مايملأوه به إلا الاجتماع في الأسواق والدور وأهون ما تملأ به هذه المجالس هي المحادثة فلا عجب أن برع هؤلاء في أساليبها وتذوقوا بليغها وطربوا لبيانها و بديعها.

ولا عجب أن عقدوا للكلمة أسواقاً يعرضون فيها قصائدهم وخطبهم وأن ترسل كل قبيلة وفدها يلتف حول شاعرها يمدح قبيلته ويمجد مآثرها و يعلن محاسن قومه والناس يصدقون الشاعر وإن كانوا يعلمون كذبه و يرددون أبياته وإن كانوا يعرفون مبالغتها أو افترائها.

ولا عجب مادامت هذه مكانة الكلمة أن تهون قبيلة إذا هجيت بقصيدة وإن كانت كاذبه وأن يرفع أتباع القبيلة رؤسهم فخرا إن مدحوا

بقصيدة وما ذاك إلا لسلطة الكلمة بينهم فالكلمة في تلك الفترة لها سلطتها ترفع فيهم وتضع.

وحين أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة خيرا واقتضت حكمته أن يبعث إليهم رسولا يخرجهم من الظلمات إلى النور جاءت المعجزة وفق سنة الله في إظهار المعجزات التي جاءت على أيدي الأنبياء من قبله.

فكانت معجزته صلى الله عليه وسلم من جنس ما تفوقوا فيه وملك ألبابهم وسيطر على عقولهم جاءت معجزته قرآنا يُقرأ و يُسمع يمسك البلاغه من أطرافها ويملك الإعجاز من مجامعه.

وحين ناوءوه وحاربوه وطاردوه هو وأهله وعشيرته وأصحابه و بذلوا كل ما يستطيعون للقضاء على دعوته أظهر لهم سبيلا واحدا لذلك إن استطاعوا بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور أو بمثل سوره أو بمثل حديث منه وكان هذا العرض أشد عليهم مما هم عليه من حر به لأنهم في حر به يؤملون القضاء على دعوته أما فيما تحداهم فيه فإنهم يعرفون سلفا عجزهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن ومن ثَمَّ لم يحاول أحد منهم ــ مجرد محاولة ــ أن يأتي بمثل هذا لأنه يعرف أن لا سبيل إلى ذلك وأن مجرد المحاولة سيجعله مثار هزء وسخريه أمام مجتمعه تماما كمثل محاولة ذاك الذى يحاول أن يقفز بقدميه ناطحة من ناطحات السحاب إن مجرد محاولته مثار هزء وسخرية فاختاروا سبيل الحرب مع شدته على الإتيان بمثل هذا القرآن.

فإن قلت إذا كان القوم يدركون إعجاز القرآن فَلِمَ لم يؤثر في قلوبهم و يذعنون له؟ (قلت) إن القوم أدركوا هذا التأثير ولم يقفوا منه موقف

المتفرج وإنما سعوا بكل ما في وسعهم لمحاصرته.

فكانوا يحذرون من مجالسة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا يستقبلون القوافل القادمة إلى مكة ويحذرونهم أول ما يحذرونهم من مجالسة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو الاستماع إليه. فإن صدع صلى الله عليه وسلم في مجتمع بالقرآن وجهر به ضجوا بأصواتهم حتى لا يصل صوته إلى الآذان «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ»(١) لأنهم يعرفون أن مجرد السماع له تأثيره القوى «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ»(٢).

لكن هذا التأثير عند سماع القرآن لا يجدي إذا كان هناك عناد واستكبار لأن العناد لا تجدي معه حجه ولا ينفع معه البرهان.

وكان العناد هو المانع لكثير من أهل مكة عن الاسلام وحين لا يكون العناد نرى التأثير القرآني فأهل المدينة مثلا أرسل إليهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجلين هما مصعب بن عمير وعبد الله إبن أم مكتوم(٣) رضي الله عنهما ــ فجلسا هناك يقرآن القرآن والناس يستمعون ولم يلبثوا إلا يسيرا حتى دخلت المدينة في الاسلام وفتحت أبوابها لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولهذا قيل «**فتحت البلاد بالسيف وفتحت المدينة بالقرآن**»(٤).

---

١ ــ سورة فصلت: الآية ٢٦.

٢ ــ سورة التوبة: الآية ٦.

٣ ــ انظر: سيرة ابن هشام جـ٢ ص٧٧ــ٧٩، والكامل في التاريخ: ابن الأثير جـ٢ ص٦٧ــ٦٨.

٤ ــ مجمع الزوائد: الهيثمي جـ٣ ص٢٩٨.

فإن قلت ما الدليل على أن العناد هو المانع من التأثر بالقرآن قلت الأدلة كثيرة يكفى منها اعتراف صريح لزعيم من زعماء قريش هو أبو جهل فقد روى إبن هشام أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شَرِيق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأ وقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا.. وحصل في الليلة الثانية ما حصل في الأ ولى.. وحين التقوا في الليلة الثالثة قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا وسأل الأخنس بن شريق أبا جهل عن رأيه فيما سمعه من محمد فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف. اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، واعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الرُّكب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا!! والله لا نؤمن أبدا ولا نصدقه(١).

حتى أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم أدرك صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه من الإسلام إلا خشية الملامة من قومه والمسبة فهو يقول:

---

١ ــ سيرة ابن هشام جـ١ ص: ٣٣٧ــ٣٣٨.

فـوالله لـولا أن أجـيء بـسـبـة تجر على أشـيـاخـنـا في المحـافـل
لكـنـا اتـبـعـنـاه على كـل حـالـة من الدهـر جـداً غير قول التهازل
لـقـد عـلـمـوا أن ابـننا لا مكذب لـديـنـا ولا يـعـنـى بقول الأ باطل

الى ان قال:

فـأيـده رب الـعـبـاد بـنـصره وأظـهـر ديـنـاً حـقـه غير باطل(١)

وقال ايضا:

ولـقـد عـلـمـت بـأن ديـن محـمـد مـن خير أديـان الـبـريـة ديـنـا
لـولا الـمـلامـة أو حـذار مسبـة لـوجـدتـنـي سـمـحـاً بـذاك مبينا

كـمـا حـكـى القرآن الكريم اعتراف الكفار بسلامة القرآن وإعجازه واعـتـرافـهـم أن المانع لإسلامهم واقتناعهم ليس الضعف في حجج القرآن و بـراهـيـنـه، وإنـما هو الحسد أن ينزل هذا القرآن على محمد «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»(٢).

و يـظـهـر هـذا في قـول الـولـيـد بن المغيرة حين قال: «أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها!»(٣).

و بـلـغ عـنـادهم أقصاه حين اعلنوا رفضهم لقبوله حتى وإن كان حقا

---

١ — سيرة ابن هشام جـ١ ص: ٢٩٩.
٢ — سورة الزخرف. الآية: ٣١.
٣ — سيرة ابن هشسام: جـ١ ص: ٣٨٧.

حين قالوا: «اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»(١).

ولعل في هذا دليلا ظاهرا على أن المانع من إيمان أولئك كان العناد.

أما طالبوا الحق فقد ملك القرآن أفئدتهم وهيمن على قلوبهم وزادهم خشوعا فأذعنوا وأسلموا وأقبلوا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتلو عليهم الآيات و يزكيهم.

وقد كان أصحابه رضوان الله عليهم عربا خلصا يفهمون القرآن الكريم بمقتضى اللغة والسليقة العربية فإن اشتبه عليهم لفظ أو غمض عليهم معنى سأل بعضهم بعضا وإلا سألوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبينه لهم.

ومازالوا يقرأون القرآن و يتدبرون معانيه و يتدارسون أحكامه حتى حفظه كثير منهم واشتهر آخرون بدقة تفسيره واشتهرت طائفة بإحكام تلاوته و بهذا نشأت علوم القرآن الكريم في وقت مبكر.

تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين (علوم) و(القرآن) والمقام يقتضي أن نُعَرِّفَ كل كلمه وحدها لغة واصطلاحا ثم نعقب على ذلك بتعريفهما معا مركبتين تركيبا اضافيا.

---

١ ــ سورة الأنفال: الآية: ٣٢.

تعريف العلوم:

العلوم جمع علم والعلم نقيض الجهل وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة و يراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين أو هو نور يقذفه الله في القلب.

و يطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة مثل علم النحو، علم الطب، علم الكيمياء.

ويجمع على (علوم) وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعا واحدا مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية.

تعريف القرآن:

من رحمة الله بعباده حين خلقهم أن أمدهم بما يهديهم إلى صراطه المستقيم الذى كلفهم بالاستقامة عليه.

فزودهم بالفطرة التي ترشدهم إلى الحق وتدلهم عليه

«وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ»(١).

وأرسل إليهم الرسل تصحح لهم عقائدهم وتهديهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة وتبشرهم وتنذرهم

«رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»(٢).

وأنزل معهم الكتب تبسط دعوتهم وترسي قواعد دينهم وتجلوا لهم أمور عقيدتهم.

---

١ ــ سورة الاعراف: الآية ١٧٢.

٢ ــ سورة النساء: الآية ١٦٥.

وما زال الانبياء يتتابعون و يبنون صرح الدين الاسلامي حتى بعث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنزل معه القرآن الكريم فأكمل الله به الدين وأكمل به الرسالة فكان خاتم الأنبياء وكان القرآن خاتم الكتب السماوية **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**(١).

وتوفي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبقي هذا القرآن محفوظا من التحريف والتبديل معلنا عموم رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الناس كافة «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»(٢) «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»(٣).

فلا عجب أن يكون في القرآن الكريم العلاج الحاسم والدواء الناجع لجميع ما يعترض الحياة الانسانية في مسيرتها من أمراض روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية فهو تنزيل من حكيم حميد يعلم أمراض البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها و يعلم علاج كل داء فضمنه القرآن الكريم وجعله خالدا بخلود البشر و باقيا ببقائهم إلى يوم القيامه.

فمتى ابتغت البشرية العلاج من غيره فقد ضلت ومن حكم بغيره فقد ظلم فهو العصمة لمن تمسك به وهو النجاه لمن اتبعه.

---

١ ــ رواه البخاري جـ٤ ص١٦٢، ورواه مسلم جـ٤ ص١٧٩١.

٢ ــ سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

٣ ــ سورة الفرقان: الآية الاولى.

تعريف القرآن لغة:

اختلف العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف. وهذا الاسم شأنه شأن الاسماء في العربية إما أن يكون جامدا أو مشتقا.

فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسم جامد غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل.

وذهبت طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق ثم افترقوا الى فرقتين:

فقالت فرقة منهم إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقا من مادة (ق ر ن) ثم اختلفوا:

١ ــ فقالت طائفة منهم الأشعرى(١): أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ومنه سمى الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.

٢ ــ وقالت طائفة منهم الفَرَّاء(٢): أنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.

وقالت فرقة منهم أن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين:

١ ــ فقالت طائفة منهم اللحيانى(٣) أن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر ومنه قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ»(٤)

---

١ ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ١ ص٢٧٨.

٢ ــ الاتقان: جـ١ ص٨٧.

٣ ــ الاتقان: جـ١ ص٨٧.

٤ ــ سورة القيامة: الآية: ١٧-١٨.

أى قراءته.

٢ ــ وقالت طائفة منهم الزجاج[١] أنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه قال ابن الاثير (وسمى القرآن قرآنا لانه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران)[٢].

تلكم خلاصة الاقوال في تعريف القرآن لغة ولعل الرسم التوضيحي يزيدها بيانا ونستطيع أن نصور هذه الأقوال بطريقتين:

---

١ ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ١ ص٢٧٨.

٢ ــ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير جـ٤ ص٣٠.

الطريقة الاولى:

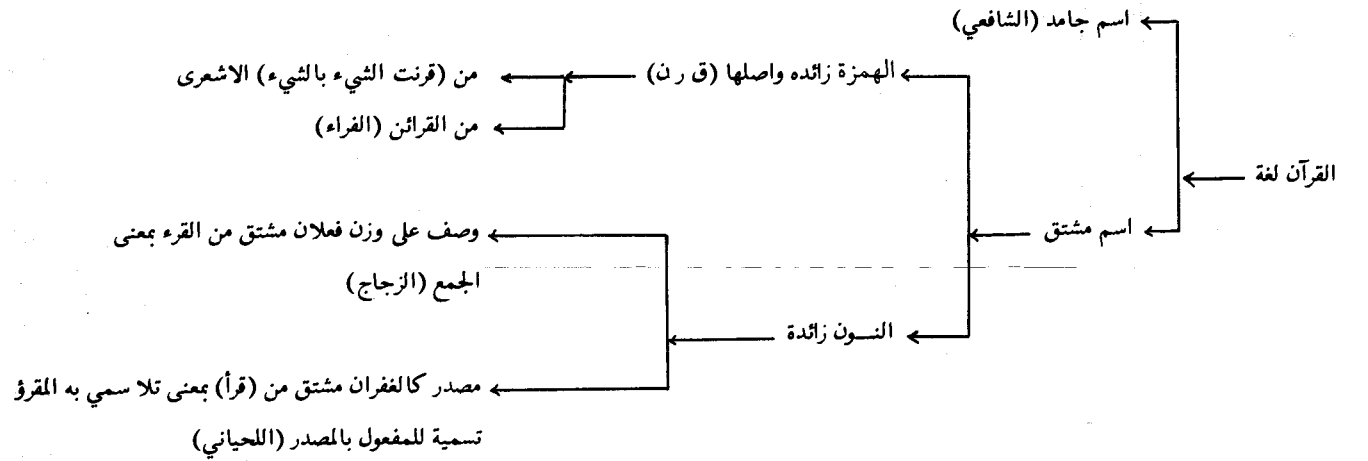

الطريقة الثانية:

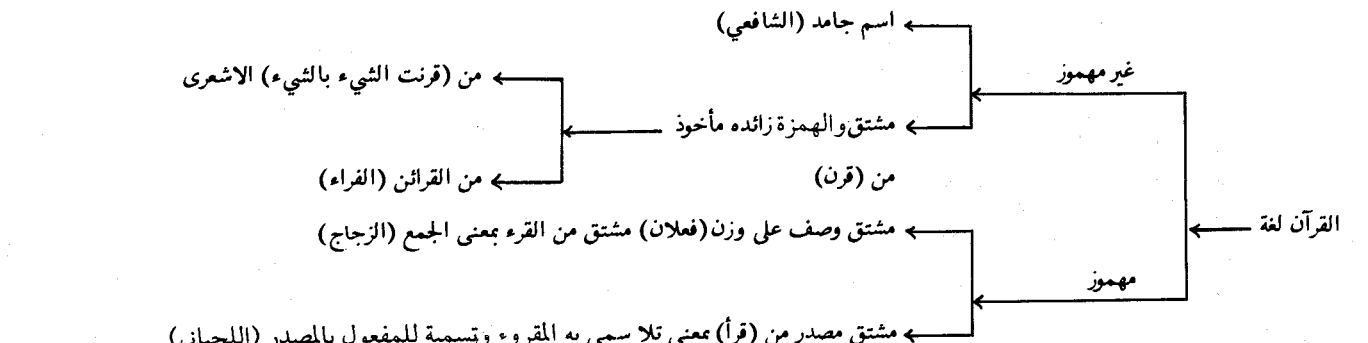

تعريف القرآن اصطلاحا:

اختص القرآن الكريم بخصائص كثيره ولعل هذه الخصائص سبب الاختلاف في تعريف القرآن بين العلماء فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرفه بها لا يذكرها الآخر ولهذا تعددت التعريفات.

فإذا كان هناك رجل طويل و يلبس ثوبا أبيض وغترة حمراء وحوله أشخاص أقصر منه قامة و يلبسون ثيابا ملونه وغترا بيضاء فإن قلت فلان هو الطويل فقد عرفته وإن قلت إنه الذي يلبس الثوب الابيض فقد عرفته وإن قلت الذي يلبس الغترة الحمراء فقد عرفته والمقصود في الكل واحد وإن اختلفت التعريفات.

وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعدده بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:

«كلام الله تعالى المُنَزَّلُ على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ المتعبد بتلاوته».

شرح التعريف:

فقولنا: كلام الله: خرج به كلام الإنس والجن والملائكة.

وقولنا: المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر ذلكم أن من كلام الله ما ينزله إلى الناس ومنها ما يستأثر بعلمه «قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا »(١)،

---

١ ــ سورة الكهف: الآية ١٠٩.

«وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ»(١).

وقولنا: على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج به المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام والانجيل المنزل على عيسى ــ عليه السلام ــ والزبور المنزل على داود عليه السلام والصحف المنزله على ابراهيم عليه السلام.

وقولنا: المتعبد بتلاوته خرجت به الأحاديث القدسية ونريد بالمتعبد بتلاوته أمرين:

الأول: أنه المقروء في الصلاة والذي لا تصح الصلاة إلا به، لقوله صلى الله عليه وسلم **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**(٢).

الثاني: إن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب أى تلاوة لغيره فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها فقد روى إبن مسعود ــ رضي الله عنه ــ أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: **«من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف»**(٣).

وليس هذا الثواب لغير التعبد بتلاوة القرآن الكريم.

الفروق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية:

لعل من المناسب أن نذكر بقية الفروق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية حتى لا يتوهم أحد أن الفرق بينهما مقصور على

١ــ سورة لقمان: الآية ٢٧.

٢ــ صحيح البخاري جـ١ ص١٨٤، وصحيح مسلم جـ١ ص٢٩٥.

٣ــ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح جـ٥ ص١٧٥، والدارمي جـ٢ ص٤٢٩.

التعبد بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي.

إذ أن هناك فروقا كثيرة ذكر العلماء منها:

١ ــ أن القرآن الكريم تحدى الله الناس ان يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله أو بحديث مثله فعجزوا أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدى والإعجاز.

٢ ــ أن القرآن الكريم منقول بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت كله سوره وآياته وجمله ومفرداته وحروفه وحركاته وسكناته، أما الحديث القدسي فأغلبه أحاديث آحاد فهو ظني الثبوت.

٣ ــ أن القرآن الكريم من عند الله لفظا ومعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله باتفاق العلماء، أما لفظه فاختلف فيه.

٤ ــ أن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى أما الحديث القدسي فينسب إلى الله تعالى نسبة إنشاء و يروى مضافا إلى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نسبة إخبار فيقال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرو يه عن ربه.

٥ ــ أن القرآن الكريم لا يمسه إلا المطهرون أما الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره.

٦ ــ أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته من وجهين ــ كما سبق بيانه ــ:

أ ــ أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي.

ب ــ أن ثواب تلاوة القرآن ثواب عظيم كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم

حرف»[1] والحديث القدسي ليس في تلاوته الثواب الوارد لتلاوة القرآن الكريم.

٧ ــ أن القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى أما الحديث القدسي فلا تحرم روايته بالمعنى.

٨ ــ أن القرآن الكريم لا يكون إلا بوحي جلي وذلك بنزول جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة فلم ينزل شيء من القرآن على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالإلهام أو في المنام، أما الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفي.

أما ما ورد في صحيح مسلم عن انس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: **«بينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله! قال: «أنزلت علي آنفا سورة»** فقرأ: **«بسم الله الرحمن الرحيم** إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ **»**

الحديث[2]. فالواقع أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم ولعلها الحالة التى تأتيه عند الوحي حيث يصيبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثقل في الجسم وتفصد العرق وشبه إغفاءة نوم والله أعلم.

٩ ــ أن القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد وقال: «لا أعلم في بيع المصاحف رخصه» ورخص في شرائها وقال: الشراء أهون ورخص في بيعها الشافعي وأصحاب الرأي[3].

١٠ــ أن القرآن الكريم تسمى الجملة منه آية وسورة، والأحاديث

---

١ ــ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح جـ٥ ص١٧٥، والدارمي جـ٢ ص٤٢٩.

٢ ــ رواه مسلم جـ١ ص٣٠٠.

٣ ــ المغني: ابن قدامة جـ ٦ ص ٣٦٧.

القدسية لا يسمى بعضها آية ولا سورة باتفاق.

١١ــ أن القرآن الكريم يكفر من جحد شيئا منه، أما الحديث القدسي فلا يكفر من جحد غير المتواتر منه(١).

اسماء القرآن الكريم وصفاته:

للقرآن الكريم اسماء وصفات كثيره وردت في بعض الآيات والأحاديث النبوية.

ولكثرة هذه الاسماء والصفات فقد أفردها بعض العلماء بمؤلفات مستقلة منهم:

١ ــ علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرّالي المتوفى سنة (٦٤٧هـ).

٢ ــ ابن قيم الجوزيه المتوفى سنة (٧٥١هـ) واسم كتابه (شرح أسماء الكتاب العزيز).

٣ ــ صالح بن ابراهيم البليهي (معاصر) واسم كتابه (الهدى والبيان في أسماء القرآن) وهو مطبوع.

٤ ــ محمد جميل أحمد غازي (معاصر) واسم كتابه (أسماء القرآن في القرآن).

١ــ لعله من المناسب ان نذكر هنا تعريف الحديث القدسي في الاصطلاح وهو ــ كما قال العلما ــ ما يضيفه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الله تعالى، ولروايته صيغتان: الأولى ان يقول الراوى: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه عن ربه عز وجل، والثانية: ان يقول: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى أو يقول الله تعالى.

وقد وقع الاختلاف بين العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ في عدد اسماء القرآن الكريم، فقد ذكر الزركشي أن الحرّالي أنهى أساميه إلى نيف وتسعين اسما(١).

لكن الزركشي نفسه لا يورد إلا خمسة وخمسين اسما نقلها عن ابي المعالي عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيدله(١).

أما الفيروز آبادي فقد قال في كتابه (بصائر ذوى التمييز): «ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم نسوقها على نسق واحد»(٢) لكنه ــ رحمه الله تعالى ــ لم يذكر إلا تسعة وثمانين اسما وزادها أربعة اسماء فتكون جملتها ثلاثة وتسعين اسما في القرآن للقرآن.

ولم يورد الشيخ صالح البليهي إلا ستة وار بعين اسما لاعتقاده أن بعض هذا العدد ــ إن لم يكن اكثره ــ أوصاف للقرآن وليست باسماء(٣).

---

١ ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ١ ص٢٧٣.
٢ ــ بصائر ذوى التمييز: الفيروز آبادي جـ١ ص٨٨.
٣ ــ الهدى والبيان في اسماء القرآن: صالح البليهى ص٤٤.

ومن اسماء القرآن الكريم:

١ ــ القرآن: في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ»(١).

٢ ــ الكتاب: في قوله تعالى: «الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»(٢).

٣ ــ الذكر: في قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ»(٣).

٤ ــ الفرقان: في قوله تعالى: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ»(٤).

٥ ــ النور: في قوله تعالى: «فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا»(٥).

ومن صفات القرآن الكريم:

١ ــ المبارك: في قوله تعالى: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ»(٦).

٢ ــ هدى، ورحمه: في قوله تعالى: «هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ»(٧).

٣ ــ الكريم: في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ»(٨).

٤ ــ الحكيم: في قوله تعالى: «الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ»(٩).

٥ ــ الفصل: في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ»(١٠).

---

١ ــ سورة الواقعة: الآية: ٧٧.
٢ ــ سورة البقرة: الآية الاولى.
٣ ــ سورة الحجر: الآية ٩.
٤ ــ سورة الفرقان: الآية الأ ولى.
٥ ــ سورة التغابن: الآية ٨.
٦ ــ سورة الانعام: الآية ٩٢.
٧ ــ سورة لقمان: الآية ٣.
٨ ــ سورة الواقعة: الآية ٧٧.
٩ ــ سورة يونس: الآية: ١.
١٠ ــ سورة الطارق: الآية ١٣.

وقد بين العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ حكمة تعدد الاسماء للقرآن الكريم فقال الفيروز آبادي ــ رحمه الله تعالى ــ: «إعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة اسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة اسماء القيامه دلت على كمال شدته وصعوبته وكثرة اسماء الداهية دلت على شدة نكايتها وكذلك كثرة اسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة اسماء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دلت على علورتبته وسمودرجته وكذلك كثرة اسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته»(١).

وبين اسماء القرآن الكريم الكثيرة اشتراك وامتياز، فهي تشترك في دلالتها على ذات واحدة هي القرآن الكريم نفسه ويمتاز كل واحد منها عن الآخر بدلالته على معنى خاص، فكل اسم للقرآن يدل على حصول معناه فيه، فتسميته مثلا بالهدى يدل على الهداية فيه، وتسميته بالتذكرة يدل على أن فيه ذكرى، وهكذا(٢).

كما قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ عن لفظ السيف والصارم والمهند.. فإنها تشترك في دلالتها على الذات فهي من هذا الوجه كالمتواطئه، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص فتشبه المتباينة واسماء الله واسماء رسوله وكتابه من هذا الباب(٣).

واسماء القرآن الكريم وصفاته توقيفية لا نسميه ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب أو في السنة النبويه الشريفة.

---

١ ــ بصائر ذوى التمييز: الفيروز آبادي جـ١ ص٨٨.

٢ ــ خصائص القرآن الكريم: د. فهد الرومي ص١٢٣.

٣ ــ مجموع فتاوى ابن تيميه: جـ٢٠ ص٤٩٤.

فإن قلت: أرأيت تسميته بالمصحف هل وردت في الكتاب أو السنة؟ قلت: إن المصحف ليس اسما للقرآن ذاته وانما هو اسم للصحف التى كتب عليها القرآن، ولم يطلق عليه (المصحف) إلا بعد جمع القرآن الكريم في عهد أبى بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ في صحف ضم بعضها الى بعض فسميت مصحفا.

ولهذا نرى العلماء يتحدثون عن حكم بيع المصحف ولم يقل أحد منهم بيع القرآن، فالقرآن كلام الله تعالى، أما المصحف فهو من عمل البشر وصناعتهم التى يبتغون بها الرزق والكسب الحلال(١).

ولهذا ايضا لا يصح أن يجمع لفظ القرآن لأن القرآن واحد لا يختلف في كل المصاحف، أما المصحف فيصح جمعه فيقال «مصاحف» لأن كل واحد منها أو مجموعة تختلف عن الأخرى.

وهناك إشارة دقيقة استنبطها بعض العلماء من تسميته بالقرآن والكتاب فقال: روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعنى أنه يجب حفظه في الصدور، والسطور جميعا. أن تضل إحداهما فتذكر الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل على

---

١ ــ خصائص القرآن الكريم: د. فهد الرومي ص١٢٤.

هيئته التى وضع عليها أول مرة ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التى بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية إقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز(١).

تعريف علوم القرآن:

لعلوم القرآن معنيان: معنى إضافي ومعنى عَلَمٌ على الفن المدون وإليك بيان ذلك:

المعنى الاضافي:

اعلم أن الاضافة بين «علوم» و«القرآن» تشير إلى انواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفردتها أو ان القرآن دلّ على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها. فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة وغير ذلك.

بل توسع بعض العلماء فعد منها علم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها(٢) والحق أنه وإن كان القرآن الكريم يدعوإلى تعلمها إلا أنه لا يَجْمُلُ عَدُّها من علوم القرآن لأن هناك فرقا كبيرا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه(٣).

---

١ ــ النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، ص١٢ــ١٣.

٢ ــ الاتقان: السيوطي جـ٢ ص١٢٧.

٣ ــ مناهل العرفان: الزرقاني، جـ١ ص١٧.

وبهذا يظهر لك أن المراد بعلوم القرآن بمعناه الاضافي يشمل سائر العلوم الدينية والعربية.

معناه كفن مدون:

ثم نُقِلَ المعنى الاضافي وجعل علما على الفن المدون واصبح مدلوله كفن مدون أخص من مدلوله بالمعنى الاضافي.

و يُعْرَّفُ علوم القرآن كفن مدون بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقرآءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك.

و يسمى هذا العلم بـ «أصول التفسير» لأنه يتناول العلوم التى يشترط على المفسر معرفتها والعلم بها.

موضوع علوم القرآن الكريم:

هو القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف(١).

ثمرة علوم القرآن الكريم:

١ ــ تيسير تفسير القرآن الكريم فهي مفتاح باب التفسير ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن(٢).
٢ ــ معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه من التغيير والتبديل.
٣ ــ التسلح بمجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن هذا

١ــ المرجع السابق: جـ١ ص٢٠.
٢ ــ مناهل العرفان: الزرقاني، جـ١ ص٢٠ــ٢١.

الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.

٤ ــ الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم.

نشأة علوم القرآن وتطورها

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

حين نزل جبريل على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غار حراء بصدر سورة إقرأ نزل عليه الصلاة والسلام وذهب إلى زوجته خديجة وأخبرها بما حدث في الغار وتلا عليها الآيات من حفظه.

وحين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يصدع بما يؤمر وأن يعلن الدعوة إلى الإسلام امتثل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الأمر فدعا الناس إلى الإسلام وأقبل من أسلم منهم على القرآن الكريم يتلونه حق التلاوة ويجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم لحفظه وتدبر آياته وكانوا عربا خلصا يفهمون القرآن بمقتضى السليقة العربية فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى سأل بعضهم بعضا فقد يكون أحدهم أعلم من الآخر فإن أشكل عليهم سألوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبينه لهم.

وبهذا ندرك أن علوم القرآن نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام بل منذ أشرقت شمس الإسلام ذلكم أن حفظ القرآن، وتلاوته وتدبره، وتفسيره من اهم علوم القرآن الكريم.

في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

وإذا نظرنا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم وجدناهم يتعلمون علوم القرآن مشافهة ولم يعرف عندهم تدوين لعلوم القرآن لعدة أسباب أهمها:ــ

١ ــ أن أغلب الصحابة كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

٢ ــ أن أدوات الكتابة لم تكن متوافرة عندهم.

٣ ــ أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن بقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ **«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»**(١). و يعتقد بعض الناس ان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ إنما نهى الصحابة عن كتابة شيء غير القرآن خشية أن يلتبس بغيره و يظهر لي ــ والله أعلم ــ أن هذا ليس بصحيح ذلكم أن القوم كانوا ذوى ذكاء في القريحه، وتذوق للبيان، وتقدير للأساليب ووزن لما يسمعون بأدق المعايير و يدركون إعجاز القرآن الكريم ــ بمجرد سماعه ــ إدراكا تاما يأخذ منهم بالالباب و يسيطر منهم على الافئدة فأنى لهم أن يختلط عندهم بغيره من كلام البشر، بل العلة في ذلك أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراد توزيع مسئولية التبليغ عنه على جميع الصحابة ولو أذن للكُتَّاب بالكتابة لأعتقد الأميون أن مسئولية التبليغ مقصورة على الكُتَّاب الذين يحتفظون عندهم بالنصوص الشرعية وأن ذمتهم هم بريئه، فلما نهى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من يكتب عن كتابة غير القرآن اصبح الصحابة كلهم سواسيه في التلقي عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يتميز من يكتب عمن لا يكتب واصبحت الدعوة الى الله يشترك فيها الجميع وخير للدعوة ان ينشرها كل الصحابة من ان يقتصر امرها على عدد من الكتاب.

فإن قلت إن كان الأمر كذلك فلم أذن لهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكتابة القرآن؟ قلت إن تبليغ القرآن لا يَرِدُ عليه ما يَرِدُ على تبليغ غيره فلن يعتقد الأميون منهم أن تبليغه واجب على الكُتَّابِ فحسب فهم يقرأونه سرا وجهارا في بيوتهم وفي مساجدهم في خلواتهم وفي مجتمعهم وفي

---

١ ــ رواه مسلم، جـ ٥ ص٢٢٩٨ــ٢٢٩٩.

صلواتهم فلتبليغه وسائل عديدة لا تتحقق لغيره ولا تقتصر على الكُتَّاب دون الأميين فالجميع يتلوه و يقوم به آناء الليل وأطراف النهار فلن يَتَّكِلَ الأميون في تبليغه على الكُتَّاب لإدراكهم أن الجميع مكلف بتلاوته في السطور وحفظه في الصدور.

ولهذا تغلب الصحابة رضوان الله عليهم على الأسباب السابقة المانعة من تدوين علوم القرآن بما حققوه للقرآن وذلك بالاعتماد على قوة الحافظه فحفظوا علوم القرآن كما يحفظون الآيات، أخرج الطبرى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن(١) وروى ابو عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا»(٢).

و يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «والله الذى لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا اعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(٣)، و يقول علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وهو على المنبر «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل»(٤)، والنصوص في ذلك كثيرة كلها تثبت أن الصحابة

---

١ ــ اخرجه الطبرى في تفسيره جـ١ ص٨٠.

٢ ــ اخرجه الطبرى في تفسيره جـ١ ص٨٠.

٣ ــ صحيح البخاري باب القراء من اصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم جـ٦ ص١٠٢.

٤ ــ الاتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ٢ ص١٨٧.

رضوان الله عليهم لم يكتفوا بحفظ نصوص القرآن الكريم فحسب بل حفظوا معها علومه ومعارفه.

واشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن منهم الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن الزبير، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وابو موسى الأشعرى وعائشه(١) رضي الله عنهم.

وكثرت الرواية في التفسير عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم.

ولم يتكلف الصحابة رضوان الله عليهم التفسير ولم يخوضوا فيما لا فائدة كبيرة في تحصيله، ولم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله فبعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى بيان لمعرفتهم للغة وأحوال المجتمع وأسباب النزول وغير ذلك، وقد كانوا يهتمون بنشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

في عهد التابعين رحمهم الله تعالى:

وحين اتسعت الفتوحات الاسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان المفتوحه يعلمون أهلها القرآن و يفسرون لهم معانيه، و ينشرون لهم علومه ومعارفه فبذله لهم الصحابة وفتحوا لهم صدورهم وأفسحوا لهم مجالسهم فنشأت ما يصح أن نطلق عليها بالمعنى الحديث (مدارس التفسير) وهي كثيره وأشهرها ثلاث مدارس:

١ــ يقصر كثير من الباحثين حصر مشاهير المفسرين من الصحابة على هؤلاء العشره، وأحسب ان عائشه رضي الله عنها لا تقل مكانتها في التفسير عنهم فأضفتها إليهم.

مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وهو حبر هذه الأمه وترجمان القرآن وهو الذي دعا له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(١).

ومن أشهر تلاميذه سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمه مولى ابن عباس، وطاوس، وعطاء بن ابي رباح.

مدرسة ابي بن كعب رضي الله عنه بالمدينة:

وقد كان رضي الله عنه أحد كتاب الوحي، وإمام القراء، شهد له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله «**أقرؤهم أبي بن كعب**»(٢).

ومن اشهر تلاميذه زيد بن أسلم، وابو العاليه الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي.

مدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة:

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وأسمعه قريشا بعد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال عنه الرسول ــ عليه الصلاة والسلام «**من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**»(٣) يعني ابن مسعود وأخبر هو عن نفسه فقال «**والله لقد أخذت من في رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بضعا وسبعين سورة**»(٤).

ومن أشهر تلاميذه علقمه بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وعامر الشعبي، وعمرو بن شرحبيل، وابو عبد الرحمن السلمي.

---

١ ــ رواه الامام أحمد في مسنده جـ١ ص٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥.

٢ ــ رواه الترمذي جـ٥ ص٦٦٤ــ٦٦٥ كتاب المناقب، وابن ماجه في سننه جـ١ ص٦٨.

٣ ــ سنن ابن ماجه: جـ١ ص٦٣.

٤ ــ صحيح البخاري جـ٦ ص١٠٢ باب القراء من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

وأهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الكوفة هم أعلم الناس بالتفسير كما يقول ابن تيميه رحمه الله تعالى: «وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن ابي رباح، وعكرمة مولى بن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس وابي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من اصحاب عبد الله بن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم»(١).

ولم يكن تفسير هؤلاء وغيرهم من الصحابة والتابعين مقتصرا على علم التفسير بمعناه الخاص بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني، ونحو ذلك.

كما لم يكن شاملا للقرآن الكريم، ولا مدونا، وانما كان بالرواية والتلقين.

عهد التدوين:

ثم كان تدوينه حين بدأ تدوين الحديث النبوي، ومر بمراحل قبل أن يكون على ما هو عليه الآن.

فبدأ تدوينه أول ما بدأ على أنه باب من أبواب الحديث، وممن دَوَّنه في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي (ت١١٧هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ) ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينه (ت١٩٨هـ)، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) وغيرهم،

---

١ ــ مقدمة في اصول التفسير: شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرزور ص٦١.

وكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد. وجميع ما نقلوه فيها كان بالإسناد ولم يصل إلينا شيء منها(١).

ثم دُوِّنَ التفسير مستقلا وأصبح علما قائما بنفسه وأشهر من دونه على هذا النحو ابن ماجه (ت٢٧٣هـ)، وابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وابو بكر بن المنذر النيسابورى (ت٣١٨هـ)، وابن ابي حاتم (ت٣٢٧هـ)، وابن حبان (ت٣٦٩هـ)، والحاكم (ت٤٠٥هـ)، وابن مردويه (ت٤١٠هـ) وغيرهم وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد.

و يُعَدُّ تفسير ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى أقدم تفسير شامل وصل إلينا عرض فيه صاحبه للأقوال والروايات المختلفة في التفسير ورجح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والإستنباط واللغة وله في ذلك السبق.

والتفسير ــ كما نعلم ــ أحد علوم القرآن الكريم، بل هو نواة علوم القرآن الكريم وبهذا يكون التفسير أول علم من علوم القرآن بدأت الكتابه فيه.

وقد ألّف العلماء في العلوم الأخرى كتبا مستقله منها ما وصل إلينا ومنها ما هو مفقود.

ففي القرن الثاني الهجري:

ألف الحسن البصرى (ت١١٠هـ) في (القراءة)، وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) في (غريب القرآن)، وقتادة بن دعامه السدوسي

---

١ ــ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: جـ١ ص١٤١ (بتصرف).

(ت١١٧هـ) في (الناسخ والمنسوخ).

وفي القرن الثالث الهجري:

ألف ابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) في (الناسخ والمنسوخ)، وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) في (أسباب النزول)، وابن قتيبه (ت٢٧٦هـ) (تأويل مُشْكِل القرآن) و(تفسير غريب القرآن).

وفي القرن الرابع الهجري:

ألف ابو اسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) (إعراب القرآن)، وألف ابن درستويه (ت٣٣٠هـ) في (اعجاز القرآن)، وألف ابو بكر السجستاني (ت٣٣٠هـ) (تفسير غريب القرآن)، وألف ابو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في اعجاز القرآن).

وفي القرن الخامس الهجري:

ألف علي بن ابراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) في (إعراب القرآن)، وألف الماوردى (ت٤٥٠هـ) في (أمثال القرآن)، وألف ابو الحسن الواحدى (ت٤٦٨هـ) كتابه أسباب النزول، وألف ابن ناقيا (ت٤٨٥هـ) كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن).

وفي القرن السادس الهجري:

ألف الكرماني (ت بعد ٥٠٠هـ) (البرهان في متشابه القرآن)، وألف الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) (المفردات في غريب القرآن)، وألف ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) (الإقناع في القراءات السبع)، وألف السهيلى (ت٥٨١هـ) في (مبهمات القرآن).

وفي القرن السابع الهجري:

ألف علم الدين السخاوي في (القراءات)، والعز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) (مجاز القرآن)، وألف ابن ابي الأصبع (ت٦٥٤هـ) كتابه (بدائع القرآن)، وألف محمد بن ابي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ) (أسئلة القرآن وأجوبتها).

وفي القرن الثامن الهجري:

ألف ابن القيم (ت٧٥١هـ) (التبيان في أقسام القرآن)، وألف الخراز (ت٧١١هـ تقريبا) (مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن)، وألف الطوفي (ت٧٠٦هـ) (الإكسير في علم التفسير)، وألف ابوحيان النحوى (ت٧٤٥هـ) (لغات القرآن) وألف ابن كثير (ت٧٧٤هـ) كتابه (فضائل القرآن).

وفي القرن التاسع الهجري:

ألف ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في (أسباب النزول)، وألف الكافيجي (ت٨٧٩هـ) (التيسير في قواعد علم التفسير)، وألف السيوطي (ت٩١١هـ) كتابه (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) وكتابه (لباب النقول في أسباب النزول).

وفي القرن العاشر الهجري:

ألف القسطلاني (ت٩٢٣هـ) (لطائف الإشارات في علم القراءات)، وألف ابويحى زكريا الانصاري (ت٩٢٦هـ) كتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) وألف ابن الشحنه (ت٩٢١هـ) (غريب القرآن).

وفي القرن الحادى عشر الهجري:

ألف البناء (ت١١١٧هـ) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، وألف الشيخ مرعي الكرمي (ت١٠٣٣هـ) (قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن)، وألف أحمد بن محمد المقّرى (ت١٠٤١هـ) كتابه (إعراب القرآن).

وفي القرن الثاني عشر الهجري:

ألف عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ) (كفاية المستفيد في علم التجويد)، وألف الجمزوري (ت١١٩٨هـ) (تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن)، وألف شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) (فضائل القرآن).

وفي القرن الثالث عشر الهجري:

ألف الدمياطي (ت١٢٨٧هـ) (رسالة في مبادىء التفسير)، وألف الهوريني (كان حياً ١٢٨٦هـ)(الجوهر الفريد في رسم القرآن المجيد)، وألف ابن حميد العامرى (ت١٢٩٥هـ)(الناسخ والمنسوخ).

وفي القرن الرابع عشر الهجري:

ألف مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وألف د/محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) كتابه (النبأ العظيم)، وألف سيد قطب (١٣٨٧هـ) (التصوير الفني في القرآن)، وكتاب (مشاهد القيامه في القرآن)، وألف محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ)(التفسير والمفسرون).

هذه أمثلة للمؤلفات في علوم القرآن الكريم في القرون السابقه وهي مؤلفات كثيرة بل لا تكاد تحصى كثرة.

وحين تنظر فيما ذكرت من المؤلفات تجد كل واحد منها يتناول علما واحدا من علوم القرآن الكثيرة وقد اتجهت أنظار العلماء إلى تأليف كتب تجمع الحديث عن هذه العلوم فتعرّف كل علم تعريفا موجزا وتتناوله تناولا ميسرا فكان هذا العلم الذى سموه (علوم القرآن) بالمعنى المدون.

ظهور اصطلاح علوم القرآن:

لم تكن علوم القرآن بخافيه على العلماء المبرزين قبل التدوين بل كانت مجموعة في صدورهم إلا أن اصطلاح (علوم القرآن) لم يظهر إلا في فترة متأخرة. حيث ظهر هذا الاصطلاح أول ما ظهر في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان (ت٣٠٩هـ) كتابه «الحاوى في علوم القرآن»(١).

واعتقد بعض الباحثين أن اول عهد لظهور اصطلاح (علوم القرآن) هو بداية القرن الخامس حين ألف علي بن ابراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن» وهذا غير صحيح لأن اسم كتاب الحوفي «البرهان في تفسير القرآن»(٢)، ولأنه ظهرت كتب في القرن الذى قبله تناولت علوم القرآن بمعناها المدون وأسبقها ما ذكرت لابن المرزبان وغيره.

---

١ ــ الفهرست ابن النديم ص٢١٤، وطبقات المفسرين: الداودى جـ٢ ص١٤١.

٢ ــ مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده، جـ٢ ص١٠٧، ومعجم الأدباء: ياقوت الحموى جـ١٢ ص٢٢٢، وكشف الظنون: حاجي خليفه جـ١ ص٢٤١.

أهم المؤلفات في علوم القرآن (كفن مدون) قديما:

وقد ظهرت مؤلفات كثيره بعد ذلك في علوم القرآن كفن مدون ففي القرن الرابع الهجري(١).

ألف ابو الحسن الأشعرى (ت٣٢٤هـ) كتابه (المختزن في علوم القرآن)(٢) وألف عبيدالله بن محمد بن جرو الأسدي ت ٣٢٨ هـ) كتابه (الأمد في علوم القرآن)(٣) وألف محمد بن علي الأدفوي (ت ٣٨٨ هـ) كتابه (الاستغناء في علوم القرآن)(٤).

وفي القرن السادس الهجري ألف ابن الجوزى (ت٥٩٧هـ) كتابه «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن»(٥) و«المجتبى في علوم القرآن»(٦)، و«المجتنى من المجتبى»(٧).

وفي القرن السابع الهجري ألف القزويني (ت٦٢٥هـ) كتابه «الجامع الحريز الحاوى لعلوم كتاب الله العزيز»(٨)، وألف ابو شامة

١ــ ينسب كثير من الباحثين كتاب «عجائب علوم القرآن» لأبي بكر الانباري (ت٣٢٨هـ) مستندين في ذلك إلى ما ذكره الزرقاني في «مناهل العرفان» وقد ظهر لي يقينا ان الكتاب المذكور ليس لابي بكر الانباري بل هو كتاب «فنون الافنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزى وسبب وقوع هذا الوهم نسخة مخطوطة في مكتبة البلدية بالاسكندرية اخطأ مفهرسوا المكتبة في معرفة المؤلف فنسبوها لابي بكر الانباري.

٢ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ١ ص٣٩١، وتاريخ التراث العربي جـ٢ ص٣٧٧، ومعجم المفسرين: عجاج نويهض: جـ١ ص٣٥٤.

٣ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ ١ ص ٣٧٢ ومعجم الأدباء: ياقوت الحموي جـ ١٢ ص٦٦ ومعجم المفسرين: عادل نهويض جـ ١ ص ٣٤١.

٤ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ٢ ص١٩٤، ومعجم المفسرين جـ٢ ص٥٧٨.

٥ــ طبع بتحقيق الدكتور عبد الفتاح عاشور على نسختين مخطوطتين وطبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر على ست نسخ مخطوطة.

٦ــ الذيل على طبقات الحنابله جـ١ ص٤١٧.

٧ــ فنون الافنان في عيون علوم القرآن: ابن الجوزى تحقيق د/حسن ضياء الدين عتر ص٤٠.

٨ــ الجواهر المضية في طبقات الحنفيه: ابي محمد بن أبي الوفاء جـ١ ص١٣٣، طبقات المفسرين: الداودى جـ١ ص٣٣.

المقدسي (ت٦٦٥هـ) كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»(١)، وألف ابن تيميه (ت٧٢٨هـ) كتابه «مقدمة في أصول التفسير» وهي مع إيجازها قيمة جدا وطبعت مرارا.

وفي القرن الثامن الهجري ألف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) كتابه «البرهان في علوم القرآن» وطبع في أربعة مجلدات بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم، وهو من أفضل المؤلفات في علوم القرآن الكريم ومن أحسنها تنظيما وتبويبا وأسلوبا.

وفي القرن التاسع الهجري ألف جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) كتابه «التحبير في علوم التفسير»(٢) ذكر فيه ١٠٢ نوعا من علوم القرآن ثم ألف كتابه القيم «الإتقان في علوم القرآن» ذكر فيه ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والدمج ثم قال بعد سردها «ولو نوعت بإعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاث مئه»(٣) وقد طبع الكتاب عدة مرات وصدر أخيرا في أربعة مجلدات بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم، و يعد هذا الكتاب أصل من الأصول المؤلفه في هذا العلم ولئن قيل أن المفسرين عيال على تفسير الطبرى فإن علماء علوم القرآن عيال على الإتقان.

وفترت همة التأليف بعد ذلك بل قال بعض العلماء ان التأليف في تلك الفترة توقف أو كاد(٤) وظهرت مؤلفات معدودة مثل «الفوز الكبير

---

١ ــ طبع سنة ١٣٩٥هـ بتحقيق طيار آلتي قولاج.
٢ ــ الاتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ١ ص٣.
٣ ــ المرجع السابق جـ١ ص٧.
٤ ــ المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد ابوشهبه، ص٤١.

في أصول التفسير» تأليف ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)[١]، وألف ابن عقيله (ت١١٥٠هـ) كتابه «الزيادة والإحسان في علوم القرآن»[٢].

المؤلفات في علوم القرآن بمعناه المدون في العصر الحديث:

وقد نشط التأليف في العصر الحديث فصدرت مؤلفات كثيرة وأبحاث عديدة ليس المقام مقام إيرادها ولا حصرها ولعل من أشهرها:

١ ــ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني وطبع في مجلدين وهو بحق من افضل المؤلفات في هذا العلم فهو إضافة إلى اشتماله على كثير من علوم القرآن، فقد اعتنى صاحبه بالرد على الشبهات الواردة في كل علم قديماً أو حديثاً، وهو حين يوردها يسوق حججها وبراهينها ثم يكر عليها فلا يبقى لها أثرا وإضافة إلى هذا فإنه يقدم هذه العلوم بأسلوب أدبي يشدك إليه شدا حتى لتحسب نفسك ــ وانت تخوض غويص القضايا ــ تقرأ قطعة ادبية ولست أعنى بهذا سلامته من كل ففيه هنات لا تكاد تذكر إضافة إلى تقريره مذهب الأشاعرة.

٢ ــ المدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتور/ محمد محمد أبوشهبه ألفه لطلبة الدراسات العليا في الجامعة الأزهرية، و يقع في مجلد تبلغ صفحاته نحو خمس مائه صفحة.

٣ ــ مباحث في علوم القرآن: للدكتور/ صبحي الصالح ألفه لطلبة كلية الآداب بجامعة دمشق و يقع في نحو ثلاثمائة صفحة.

---

١ ــ طبع عدة مرات.

٢ ــ مخطوط يعمل على تحقيقه بعض الدارسين في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.

٤ ــ مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان و يقع في نحو ثلاثمائة صفحة وقال في مقدمته «كانت طبعته الأ ولى استجابة لرغبة بعض إخواننا في تقديم أبحاث مختصره عن أهم مباحث علوم القرآن يستطيع شبابنا المسلم الذى لا يتيسر له التعمق في الدراسات الاسلامية ان يجد فيها من الثقافة اللازمة له ما يكفيه مئونه البحث في مراجع هذا العلم ويجنبه عناء فهم أساليبها(١) وقد أصاب وفقه الله فقد سدّ كتابه هذا ثغرة في حاجة طلبة العلم.

٥ ــ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان: تأليف الشيخ طاهر الجزائري، وهي مباحث انتخبها الجزائري انتخاب العالم الذواقه والمحقق المتقن، اعتنى بنشرها الشيخ عبد الفتاح ابوغدة.

٦ ــ لمحات في علوم القرآن تأليف الشيخ محمد الصباغ وهي محاضرات ألقاها على طلاب كليتي الآداب والتربية في جامعة الرياض.

٧ ــ علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور وهو محاضرات القاها على طلابه و يقع في مجلد تبلغ صفحاته ٤٦٠ صفحة.

٨ ــ المنار في علوم القرآن للدكتور محمد على الحسن وهي محاضرات ألقاها على طلابه في كلية التربية بجامعة الرياض.

٩ ــ مدخل إلى علوم القرآن والتفسير للدكتور فاروق حماده وهو ايضا محاضرات ألقاها على طلاب كلية اللغة العربية بمراكش.

---

١ ــ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص٥.

١٠ــ علوم القرآن والحديث للشيخ أحمد محمد على داود وهي محاضرات ألقاها على طلبة دائرة اللغة العربية في جامعة اليرموك.

١١ــ من علوم القرآن: للدكتور فؤاد على رضا و يقع في نحو ٢٤٠ صفحة.

١٢ــ التبيان في علوم القرآن: للدكتور القصيبي محمود زلط تجاوزت صفحاته المئتين.

١٣ــ دراسات في علوم القرآن: للدكتور أمير عبد العزيز وتبلغ صفحاته نحو الثلاث مئة صفحة.

هذه بعض المؤلفات في العصر الحديث في علوم القرآن كفن مدون والمؤلفات غيرها كثيره، ولعلك تلاحظ أن أغلبها قد ألفها أصحابها لطلابهم وأحسب ان هذا يؤدى إلى الإجمال في الحديث وتيسير المادة وعدم الخوض في دقائق المسائل ووعر المسالك، وإختيار السبيل الأسهل والأ يسر، وهذا المنهج يحرم الباحثين المتخصصين من نيل مرادهم والحصول على بغيتهم كما يحرم المؤلفين من الإبداع في القول ومن إعمال الذهن والتجديد في الآراء بل أدى بهم إلى التسليم في كثير من المسائل والقضايا ونقلها كما هي من غير تمحيص خشية من الدخول في تفاصيل تخرج به عن هدفه من التأليف.

والحق أن كثيرا من المباحث في علوم القرآن لا تزال بحاجة إلى النظر في مسائلها وإعادة الكتابة فيها وعدم الاكتفاء والتسليم بما قاله فلان وفلان من غير دليل وعلوم القرآن أوسع من أن يحيط بها أبناء جيل أو أجيال من البشر.

ومما لا شك فيه أن التاريخ كله لا يعرف كتابا درسه الدارسون وألف في علومه المؤلفون وصنف فيه المصنفون مثل القرآن الكريم، ولا تزال المؤلفات تدون ولا يزال العلماء يبحثون و يتدبرون، ولا يزال القرآن نقيا لم تكدره الدلاء وفائضا لم تنقصه كثرة الواردين وسيظل نورا يستضيء به طلاب الحقيقة وهدى يهتدي به الناس إلى يوم القيامة.

فضـــائل القـــرآن الكريـــم

لا شك أن فضل القرآن الكريم فضل كبير وعظيم فهو كتاب أخرج الله به هذه الأمة من جاهلية جهلاء وضلالة عمياء.

وهو كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء وبدين ختم به الأديان. وهو كلام الله العظيم وصراطه المستقيم ونظامه القويم ناط به كل سعادة هو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة وحكمته البالغة ونعمته السابغة نهل منه العلماء، وشرب من مشربه الأدباء وخشعت لهيمنته الأبصار وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون والراكعون والساجدون وهو «كلية الشريعة وعمدة الملة و ينبوع الحكمه وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر فلا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه»(١).

هو كتاب الاسلام في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه وأخباره وهدايته ودلالته، وهو أساس رسالة التوحيد، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد ورد بيان فضل القرآن في آيات كثيرة وأحاديث عديدة.

فضائلـــه العامـــة:

ـ فضل القرآن في القرآن:

في أول جملة بعد الفاتحة ورد وصف القرآن بأنه «لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى

---

١ ـ الموافقات: الشاطبي: جـ٣ ص٣٤٦.

لِّلْمُتَّقِينَ »(١) ولك أن تتدبر في استنباط المعاني العديدة في ذلك.

ومن فضل القرآن في القرآن أن عد إنزاله في شهر مزية لهذا الشهر «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ »(٢) وبركة لليلة التي أنزل فيها «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ »(٣).

ومن فضله في القرآن نزول الرحمه عند سماعه « وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »(٤).

ووصفه بالعظمه «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ »(٥) ، و بالهدايه «إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ »(٦)، واقسم الله به «وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ »(٧)، وأمر بتلاوته « وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ »(٨)، وبتدبره «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ »(٩) وشهد له بالسلامة من العوج «قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ »(١٠)

---

١ ــ سورة البقرة: الآية: ٢.
٢ ــ سورة البقرة: الآية: ١٨٥.
٣ ــ سورة الدخان: الآية: ٣.
٤ ــ سورة الاعراف: الآية ٢٠٤.
٥ ــ سورة الحجر: الآية ٨٧.
٦ ــ سورة الاسراء: الآية ٩.
٧ ــ سورة يس: الآية ٢.
٨ ــ سورة النمل: الآيتين ٩١، ٩٢.
٩ ــ سورة محمد: الآية ٢٤.
١٠ ــ سورة الزمر: الآية ٢٨.

ولكثرة فضائله تعددت اسماؤه وصفاته وقد وردت في القرآن اسماء وصفات للقرآن كثيرة تنبىء كثرتها وتعددها عن مكانة القرآن العظيمة ومنزلته السامية.

فضل القرآن في السنة النبوية:

وقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيره في بيان فضل القرآن الكريم من أجمعها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله. فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الالسنه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرّدّ ولا تنقضي عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ»)** (١)

من قال به صُدِّق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم(٢).

وفي حديث آخر رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما أستطعتم، إنَّ هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع عصمه لمن تمسك به ونجاة لمن أتبعه لا يزيغ فيُستعتب ولا يعوج فيقوم، ولا**

---

١ ــ سورة الجن: الآيتين ١ــ٢.

٢ ــ رواه الترمذي جـ٥ ص١٧٢.

تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرَدِّ فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما اني لا أقول الم ولكن بالف ولام وميم»(١) و يكفي في بيان فضله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **«خيركم من تَعَلَّم القرآن وعَلَّمه»**(٢).

فضـــائل بعض سوره وآياته:

وردت أحاديث في فضل بعض سور القرآن الكريم وقد اختلق بعض الوضاعين أحاديث في فضائل سور القرآن سورة سورة وفي بعض سور القرآن وقع ورتع بعض أصحاب الطرق المبتدعة في مثل هذه الأحاديث، ولنا فيما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم غنى عن ذلك، ونذكر مما صح في فضائل بعض السور والآيات ما يلي:

ـ ســـورة الفاتحـــة:

ما رواه سعيد أبو سعيد بن المُعَلَّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: **(ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت يارسول الله: إنك قلت ألا أعلمك أعظم سورة من القرآن، قال: «الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته)**(٣).

ـ ســـورة البقـــرة:

ورد في فضلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله

---

١ ـ رواه الدارمي جـ: ٢ص: ٤٣١.

٢ ـ رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٨.

٣ ـ صحيح البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٣.

عليه وسلم قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة»**(١).

ـ سورة قل هو الله أحد:

ورد في فضلها أحاديث كثيرة بانها تعدل ثلث القرآن ومنها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»**(٢).

ـ فضل المعوذتين:

ورد في فضلهما حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أنزل أو أنزلت عَليَّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوذتين»**(٣).

فضل آية الكرسي:

ورد في فضلها حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنِكَ العلمُ أبا المنذر»(١).

فضل الآيتين من آخر سورة البقرة:

ورد في فضلهما حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

١ ـ صحيح مسلم جـ: ١ ص: ٥٣٩.

٢ ـ صحيح مسلم جـ: ١ ص: ٥٥٣.

٣ ـ صحيح مسلم جـ: ١ ص: ٥٥٨.

٤ ـ رواه مسلم جـ ١ ص ٥٥٦.

صلى الله عليه وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»(١) أي دفعتا عنه الشر والمكروه.

فضل عشر آيات من أول الكهف أو آخرها:

روى أبو الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال»(٢). وفي رواية قال شعبة: من آخر الكهف(٣).

فضل تلاوته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

وردت في السنة أحاديث كثيرة في ثواب التلاوة منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع وهو عليه شاق له اجران»** رواه البخاري ومسلم(٥).

وبينت السنة أن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة فعن ابي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

١ ــ رواه مسلم جـ ١ ص ٥٥٥.
٢ ــ رواه مسلم جـ ١ ص ٥٥٥.
٣ ــ رواه مسلم جـ ١ ص ٥٥٦.
٤ ــ سورة فاطر: الآيتين (٢٩ــ٣٠).
٥ ــ صحيح البخاري جـ: ٨ص: ٥٣٢ وصحيح مسلم جـ: ٧٩٨.

«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه» رواه مسلم(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»** رواه البخاري ومسلم(٢).

ولو لم يرد في فضل تلاوة القرآن إلا حديث ابن مسعود رضي الله عنه لكفى به داعيا للتنافس بين المسلمين في تلاوة القرآن الكريم آناء الليل واطراف النهار فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنه والحسنه بعشر امثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف»**(٣).

تالله لولا ماران على قلوبنا ما انفك أحدنا عن تلاوة هذا القرآن وما فرطنا في تلاوته هذا التفريط ساعات تلو الساعات تنقضى من أعمارنا لا نحسب لها حسابا أرأيتم لو أخذ أحدنا المصحف في ساعة من ساعاته الضائعة وتلا فيها آيات من القرآن الكريم فكم سيقرأ فيها من حرف وإذا كان بكل حرف عشر حسنات فكم سيثاب في هذه الساعة من حسنة إنه لثواب كبير وأجر عظيم لا ينبغي لذى لب أن يفرط فيه.

---

١ ــ صحيح مسلم جـ: ١ ص: ٨٠٤.

٢ ــ صحيح البخاري جـ٩ ص٦٥ وصحيح مسلم جـ١ ص٨١٥.

٣ ــ سنن الترمذي جـ٥ ص١٧٥ وسنن الدارمي جـ٢ ص٤٢٩.

فضـــل استماعـه:

وكما ورد الوعد بالثواب على تلاوة القرآن فقد ورد ايضا الوعد بالثواب لمستمع التلاوة بخشوع وتدبر وانصات قال الليث بن سعد رحمه الله تعالى يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى:

« وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »(١) ولعل من الله واجبه(٢).

ومما جاء في السنه في ثواب استماع القرآن الكريم حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنه مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة»**(٣).

فضـــل الاجتماع لدرسـه:

من أجمع الأحاديث التي وردت في بيان ثواب الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم وتدارسه حديث ابي هريره رضي الله عنه وفيه: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»(٤) فجمع هذا الحديث أربعة أنواع من ثواب تلاوة القرآن ومدارسته.

١ ــ تنزل عليهم السكينة.

---

١ ــ سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.
٢ ــ التذكار في افضل الأذكار: القرطبي ص٧٩.
٣ ــ مسند الامام أحمد: جـ٢ ص٣٤١.
٤ ــ صحيح مسلم جـ٤ ص٢٠٧٤.

٢ ــ تغشاهم الرحمة.

٣ ــ تحفهم الملائكة.

٤ ــ يذكرهم الله فيمن عنده.

ومن منا لا يحرص على كل واحدة منها فضلا عنها كلها، كيف وقد اجتمعت كلها في عمل واحد ميسر، وفي هذا ندب لتعلم القرآن الكريم ومعرفة علومه وأحكامه ومعانيه.

آداب التلاوة والاستماع:

لا ريب ان لتلاوة هذا الكتاب آدابا ينبغي العمل بها ففي ذلك ايضا زيادة لثواب التلاوة.

وآداب التلاوة كثيرة لعل أهمها:

١ ــ الطهارة وتشمل طهارة البدن، وطهارة المكان، وطهارة اللباس، وطهارة الفم وفوق هذا كله طهارة القلب ونقاؤه من الشرك والشك والرياء.

أما طهارة البدن فقد اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن الجنب لا يجوز له مس المصحف أو القراءة للقرآن حتى يغتسل، أما الطهارة من الحدث الأصغر فقد اشترطها بعض العلماء لقوله تعالى: «لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ»(١).

ولم يشترطها آخرون لكن العلماء أجمعوا على أن الافضل والأولى هو الطهارة من الحدث الأصغر ايضا.

---

١ ــ سورة الواقعة: الآية ٧٩.

واما طهارة المكان فلا يجوز أن يقرأ القرآن في الأماكن النجسه سواء كانت نجاسة حسية كالحمامات ونحوها أو نجاسه معنوية كالملاهي وحانات الخمور والفسق والفجور.

وطهارة اللباس والتطيب عند التلاوة من الآداب المحمودة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام بالليل يتهجد اغتلف بالغالية(١) وهي اخلاط من الطيب كالمسك والعنبر وكان ابن مسعود رضي الله عنه تعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيب إذا قام إلى الصلاة وكان رضي الله عنه إذا قرأ إعتم ولبس ثيابه وارتدى واستقبل القبلة(٢).

حتى طهارة الفم حرص الاسلام عليها عند تلاوة القرآن روى علي رضي الله عنه حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه «**فطهروا أفواهكم للقرآن**»(٣)، وعنه رضي الله عنه قال: «**إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك**»(٤) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك(٥).

٢ ــ ومن آداب التلاوة أن يستوى قاعدا في غير صلاة تأدبا مع القرآن.

٣ ــ ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القرآن لقوله تعالى: «فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ»(٦).

---

١ ــ التذكار في افضل الأذكار: القرطبي ص: ١٠٨.

٢ ــ كشف الأستار عن زوائد البزار: جـ ١ ص ٢٤٢. وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٢١٣.

٣ ــ سنن ابن ماجة: جـ ١ ص ١٢٥. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٦) وهو منه وهم، فقد ضعفه جداً في ضعيف الجامع (١٤٠١) والصواب أنه ضعيف.

٤ ــ صحيح البخاري جـ١ ص٦٦ وصحيح مسلم جـ١ ص٢٢١.

٥ ــ سورة النحل: الآية ٩٨.

٤ ــ ومنها أن يقرأ البسملة بعد الاستعاذة بأن يقول «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد أجمع العلماء على مشروعية البسملة عند تلاوة كل سورة من سور القرآن الكريم سوى براءة.

٥ ــ يستحب إذا تثاءب أن يمسك عن القرآة لأنه مخاطب ربه ومناج له.

٦ ــ وإذا شرع في القراءة فينبغي أن لا يشتغل عنها ولا يقطعها ولا يخللها بكلام الآدميين إلا لضرورة.

٧ ــ أن يقرأ على تؤده وأن يرتل القرآن ترتيلا ولا يهذه هذا.

٨ ــ أن يقف عند آية الوعد فيسأل الله من فضله، وعند آية الوعيد فيستجير بالله من عقابه.

٩ ــ أن يرفع المصحف بيديه أو على شيء مرتفع أمامه ولا يضعه على الأرض لما في ذلك من الامتهان.

١٠ــ أن يقرأ بتدبر وتمعن وفهم لما يتلوه.

١١ــ ومن آداب استماع القرآن الإنصات والإصغاء للتلاوة وترك الكلام والضحك.

١٢ــ ومنها أن لا يعبث ولا يكثر من الحركة لغير حاجة.

١٣ــ ومنها الخشوع عند سماع القرآن واستحضار القلب والتفكر والتدبر فيما يسمع من الآيات.

خصـــائص القـــرآن الكريـــم

أنـزل الله تـعـالى هـذا الـقـرآن على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليـخرج به هذه الأمة من ظلمات الجاهلية إلى نور الاسلام حتى اصبحت خير أمة أخرجت للناس.

وتمـيـزت هـذه الأمـة بخصائص كثيرة ليست في الأمم كلها واختص ايـضـا نـبـيـهـا صلى الله عـلـيـه وسلم بخصائص كثيرة، وتميز دينها الدين الاسـلامـي بـخـصـائص عديدة ليست في الأديان الأخرى، وتميز الكتاب الذي أنزل عليها بخصائص دون سائر الكتب المنزلة.

وقـد كتب كثير من العلماء في خصائص الاسلام(١)، وفي خصائص الأمـة الاسـلامـيـة(٢) وفي خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم(٣). ولا عـجـب أن يـهـتـم الـعلماء أيضا بخصائص القرآن الكريم(٤)، وقد أورد العلماء هذه الخصائص في بطون مؤلفاتهم عن علوم القرآن وأفردها بعضهم وفي هذا الموضوع مجال خصب يمرح فيه بعض المشعوذين والدجالين فيوردون فيه بعض الخرافات والشعوذة. وبالتحقيق والتدقيق يذهب زغل المبطلين.

وسأذكر هنا بعض هذه الخصائص:

أولا: خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته:

وهي خصائص كثيرة منها:

---

١ ــ مثلاً الخصائص العامة للاسلام: د. يوسف القرضاوي.

٢ ــ ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (فنون الافنان) ثلاثين نوعا منها.

٣ ــ مثلا: الخصائص الكبرى: السيوطي.

٤ ــ جمعت كثيرا من هذه الخصائص في كتابي: «خصائص القرآن الكريم».

١ ــ فضلــه:

لا يخفى فضل القرآن عمن لديه أدنى علم شرعي ذلكم أن القرآن الكريم «كلية الشريعة، وعمدة الملة، و ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأ بصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه»(١).

هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ناط به كل سعادة، هو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة وحكمته البالغة، ونعمته السابغة.

هو حجة الرسول صلى الله عليه وسلم الدامغة، وآيته الكبرى شاهدة برسالته وناطقة بنبوته.

هو كتاب الاسلام في عقائده وعباداته، وحِكَمِه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه، وعلومه وأخباره، وهدايته ودلالته.

هو أساس رسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية والرحمة المسداة للناس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

فضله لا يدانيه فضل ولا تسموإليه مكانة وسبق الحديث عن فضله في القرآن وفضله في السنة بما يغني عن إعادته.

٢ ــ شفاعته لأهلــه:

ومن خصائص القرآن الكريم أنه يشفع لأهله يوم القيامة ومن الأدلة على ذلك حديث ابي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

---

١ ــ الموافقات: الشاطبي: جـ ٣ ص: ٣٤٦.

صلى الله عليه وسلم يقول: «**إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**»(١).

٣ــ أنــه شفــاء:

قال تعالى: «وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»(٢)

وقال سبحانه وتعالى « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ »(٣)، وقال سبحانه وتعالى «قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ»(٤).

وتدبر وصف الله للقرآن بأنه شفاء ولم يصفه بأنه دواء لأن الشفاء هو ثمرة الدواء والهدف منه، أما الدواء فقد يفيد وقد يضر فكان وصف القرآن بأنه شفاء تأكيد وأي تأكيد لثمرة التداوي به.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بنفسه بالتداوي بالقرآن فقد روت عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثَقُلَ كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها»(٥).

واقتدى به أصحابه رضي الله عنهم فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يُقروهم فبينما هم كذلك إذ لُدِغَ سيد أولئك فقال: هل معكم من دواء أو راق فقالوا إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بُزاقه

---

١ ــ صحيح مسلم: جـ١ ص: ٥٥٣.

٢ ــ سورة الاسراء: الآية: ٨٢.

٣ ــ سورة فصلت: الآية: ٤٤.

٤ ــ سورة يونس: الآية: ٥٧.

٥ ــ صحيح البخاري جـ: ٧ ص: ٢٢.

و يتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية، خذوها واضربوا لي بسهم»(١).

والقرآن شفاء للأمراض النفسية وما أحوج مجتماعتنا المعاصرة إلى التداوي بالقرآن لهذا الداء الوبيل في عالم تتنازعه الأهواء المادية والشهوات الجسدية والملذات الدنيوية، وإنما تحدث الأمراض النفسية حين يعرض الانسان عن القرآن وعن ذكر الله «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا»(٢) وقال سبحانه وتعالى «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ»(٣)، أما العلاج والشفاء فهو قرين الذكر «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»(٤).

ولكن ينبغي أن نعلم أن الاستشفاء بالقرآن يستدعى كمال اليقين وقوة الاعتقاد وسلامته ولذا قال الزركشي رحمه الله تعالى عن الاستشفاء بالقرآن: «لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميرَه في ليله ونهاره وتمسك به وتدبره»(٥).

ومن خصائصه التي تتعلق بفضله وشرفه ومكانته: التعبد بتلاوته، وتعدد اسمائه وصفاته، والثواب لقارئه ومستمعه، وأن له نزولين، ونزوله مُنَجَّمًا دون سائر الكتب السابقة وغير ذلك.

---

١ ــ صحيح البخاري جـ: ٧ ص: ٢٣.
٢ ــ سورة طه: الآية: ١٢٤.
٣ ــ سورة الزخرف: الآية: ٣٦.
٤ ــ سورة الرعد: الآية: ٢٨.
٥ ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ: ٣ ص: ٤٣٦.

ثانيا: خصائص تتعلق بأسلوبه ولغته:

١ ــ أنه لا يعلو عن أفهام العامة ولا يَقْصُرُ عن مطالب الخاصة.

وهذان مطلبان لا يدركهما الفصحاء والبلغاء من الناس، فلجأوا الى قاعدة يعتذرون بها فقالوا: (لكل مقام مقال) أمَّا أن ياتي كلام واحد يُخاطَبُ به العلماء والعامة، والملوك والسوقة، والأذكياء ومن دونهم، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، و يرى فيه كل منهم مطلبه، و يدرك من معانيه ما يكفيه، فذلك مالا نجده على أتمه وأكمله إلا في القرآن الكريم وحده.

يقرأ فيه العامي فيشعر بجلاله و يذوق حلاوته، ولا يلتوي عليه فهمه فتذركه هيمنته، و يستولى عليه بيانه، وتغشاه هدايته فيخشع قلبه، وتدمع عيناه فينقاد له و يذعن.

و يقرأ فيه العالم فيدرك فصاحته، وتهيمن عليه بلاغته، ويملكه بيانه، وتنجلي له علومه ومعارفه، وتدهشه أخباره وأنباؤه فيجد فيه زمام فكره، وقيادة عقله، ومنهج علمه، ومحار فكره، ورفعة شأنه(١) فيذعن «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا»(٢) ثم يرفع يديه: « رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »(٣) فتدركه الخشية(٤) و يذعن لر به و يؤمن بشرعه.

---

١ ــ قال تعالى: « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » المجادلة: الأية: ١١.

٢ ــ سورة غافر: الآية: ٧.

٣ ــ سورة طه: من الآية: ١١٤.

٤ ــ قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» فاطر من الآية: ٢٨.

والآيات هي هي هنا وهناك لم تتغير ولم تتبدل.

٢ ــ ومن خصائص اسلوب القرآن الكريم: تصو ير المعاني:

و يراد بها إظهار المعاني بكلمات تكاد أن تجعلها بصورة المحسوس حتى تهم بلمسها بيديك وحتى تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة، لا تكلف ذهنك مشقة تركيبها، ولا تثقله بمهمة تجميعها، فتقسره قسرا على الفهم والادراك، بل تفجؤه بانطباعها فيه بمجرد توجهه إليها.

وتفسير سيد قطب رحمه الله تعالى له عناية خاصة بهذا المعنى وتميز فيه بين سائر المفسرين.

وتصو ير المعاني يكون أحيانا بطريقة التجسيم أي بجعلها في صورة مجسمة قابلة للوزن والكثافة فقد وصف الله سبحانه العذاب بأنه غليظ في قوله سبحانه «وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ »(١) واليوم بأنه ثقيل «وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا»(٢) فنقل العذاب من كونه معنى مجرداً إلى شيء ذي غلظ وسُمك كما نقل اليوم من زمن لا يُمسك إلى شيء ذي كثافة ووزن.

وهناك خصائص أخرى كثيرة لأسلوب القرآن منها: نظمه، ووقعه، وجودة السبك، وإحكام السرد، وتعدد الأساليب، واتحاد المعنى، والجمع بين الاجمال والبيان، وإيجاز اللفظ مع وفاء المعنى وغير ذلك.

---

١ ــ سورة ابراهيم: الآية: ١٧.

٢ ــ سورة الانسان: الآية: ٢٧.

ثالثا: خصـــائص عامـــة:

وهي كذلك خصائص كثيرة عديدة منها:

١ ــ حفظه في الصدور:

من أشرف خصائص القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى كَلَّف الأمة بحفظه كله بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر وإلا أثمت الأمة كلها، وليس هذا لكتاب غير القرآن، فالتوراة والانجيل ترك لاهلهما أمر الحفظ فاكتفوا بالقراءة دون الحفظ، إلا قلة لا تكاد تذكر ولم تتوافر الدواعي لحفظهما كما توافرت لحفظ القرآن الكريم فلم يكن لهما ثبوت قطعي كما هو للقرآن فسهل تحريفهما وتبديلهما.

ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم سبيلا فيه حث على حفظ القرآن إلا وأرشد إليه وحث عليه فحفظه عدد كبير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وما زالت المسيرة مستمرة حفظ المسلمون القرآن في صدورهم ونجد إقبالا لا يخطر ببال ولا يحلم بمثله أهل كتاب ــ انظروا ــ إن شئتم ــ مدارس تحفيظ القرآن العديدة منذ نزول القرآن إلى عصرنا هذا ثم التفتوا يسره، فكم من مدرسة لتحفيظ الانجيل أو التوراة فلن تجدوا منها شيئا بل ستجدون قلة القلة تحفظ هذا أو ذاك مما لا يذكر ــ أبدا ــ في مقابل مدارس تحفيظ القرآن تقول المستشرقة لورا فاغليري أن «في مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوربا كلها»(١) و يقول جيمي متشيز «لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظا»(٢).

---

١ ــ دفاع عن الاسلام: لورا فاغليري ص: ٥٩.

٢ ــ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ص: ٢٨.

ومن خصائص القرآن الكريم العامة اتصال السند:

من المعلوم أن اغلب الذين يتعلمون تلاوة القرآن إنما يتعلمونها عن طريق السماع ولا يكتفون بتعلمه من المصاحف وحدها، ونعلم أن اساتذتهم تلقوه ايضا بالسماع عن طريق مشايخهم وهكذا لا تنقطع هذه الطريقة إلى أن تصل طبقة التابعين ثم الصحابة ثم الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبهذا يكون سند القرآن في كل عصر وفي كل حين متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هذا لكتاب غير القرآن الكريم، فقد شرف الله هذه الأمة باتصال سندها برسولها صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن حاتم المظفر: «إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة، وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد موصول، وانما هو مصحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل، مما جاءهم به أنبياؤهم، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التى أخذوها عن غير الثقات(١).

ومن خصائص القرآن الكريم العامة:

أنه لا يمسه الا المطهرون:

انزل الله القرآن بواسطة أفضل الملائكة على أفضل الأنبياء لخير أمة أخرجت للناس فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن رجس الجاهلية إلى طهارة الاسلام فحق لهذا الكتاب أن يتهيأ المسلمون لتلاوته وأن

---

١ ــ توضيح الأفكار محمد بن اسماعيل الصنعاني جـ: ٢ص: ٣٩٩ ــ فتح المغيث السخاوي جـ: ٣ص: ٤.

يستعدوا لها بالطهارة ليست الطهارة الصغرى كما يفهمها بعض الناس، ولكنها الطهارة الكبرى بكل معانيها.

طهارة القلب من الكفر والشرك فلا يمس القرآن كافر ولا يُمَكَّنُ من ذلك، ولا يسافر بالمصحف إلى بلاد الكفر، وطهارة القلب أيضا من الرياء والنفاق وأن يراد بالتلاوة غير وجه الله كمن يقرأه للرياء والسمعة أو ليقال هو قارىء أو كمن يقرأه للتكسب أو لينال به شيئا من حطام الدنيا.

وطهارة البدن من الحدثين الأكبر والأصغر فيجب الاغتسال من الجنابة ونحوها بلا خلاف و يسن الوضوء من الحدث الأصغر بل أوجبه بعض العلماء.

وطهارة اللباس فينبغي أن تكون ثيابه طاهرة نظيفة نقية، وأن يتطيب وأن يلبس من الثياب أحسنها وأن يستعد لها كما يستعد لملاقاة الملوك فانه مناج ملك الملوك.

وطهارة الفم فينبغي أن ينظف فاه و يستاك ويخلل أسنانه اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه من بعده.

وهذه الطهارة خاصة بتلاوة القرآن لا يشترك معه فيها كتاب آخر.

ومن خصائص القرآن الكريم العامة:

أن الله تعهد بحفظه:

قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(١) وقد مرت بالقرآن أحداث عظيمة وأهوال جسيمة وعوامل خطيرة وتكالب عليه

١ ــ سورة الحجر الآية: ٩.

الأعداء وتداعت عليه الأمم ولو مر بعض ذلك على غير القرآن لأصابه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتغيير والتبديل. أما القرآن فقد مر بهذه الأحوال المتماوجه والدواعي المتكالبه ولم تنل منه بغيتها بل وصل إلينا كما أنزله الله لم يتبدل ولم يتغير ما طالته الأفواه النافخة، ولا نالته الأصوات اللاغية. ليتم الله نوره ولو كره الكافرون.

أما الكتب السابقة فلم يتعهد الله بحفظها بل أوكل أمر حفظها إلى أهلها فقال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ»(١).

وخصائص القرآن العامة كثيرة ومنها إجمالا: معارفه، إعجازه، أنه لا ينسب إلا الى الله، والجمع بين البسملة والاستعاذه عند تلاوته، وحرمة تفسيره بمجرد الرأى، وتيسر حفظه وتلاوته، وأن قارئه لا يمله، وتحريم روايته بالمعنى، وانه يتفلت من حافظه، ورسمه، وهيمنته على الكتب السابقة، والأحرف المقطعة في أوائل السور وغير ذلك(٢).

---

١ ــ سورة المائدة: الآية: ٤٤.

٢ ــ اقتسمت هذا المبحث من كتابي «خصائص القرآن الكريم».

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن:

يطلق جمع القرآن الكريم و يراد به أحد ثلاثة أنواع:

ـ الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره.

ـ الثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله حروفا وكلمات وآيات وسورا.

ـ الثالث: جمعه بمعنى تسجيله تسجيلا صوتيا.

ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة تاريخ وخصائص ومزايا، ولذا فسنتناول كل نوع على حدة.

أولا: جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره:

١ ـ الدليل:

و يشهد لهذا النوع قوله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ»[1]،

فالمراد بالجمع هنا الحفظ في الصدور، و يفسر هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه.. فأنزل الله تعالى **«لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه»** قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه. **«فإذا قرأناه فاتبع قرآنه»** قال فاستمع وأنصت. ثم إنَّ علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه[2].

---

١ ـ سورة القيامة: الآيات: ١٦ـ١٩.

٢ ـ رواه البخاري، جـ١ ص٤ ورواه مسلم جـ١ ص: ٣٣٠ـ٣٣١.

٢ ــ حكمــه:

حـفظ القرآن كله واجب على الأمة، بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر وإلا أثمت الأمة كلها وليس هذا لكتاب غير القرآن.

٣ ــ فضلــه:

لـم يـترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا فيه حث على حفظ القرآن إلا وسـلكـه وأمـر بـه، فـكـان يفاضل بين أصحابه بحفظ القرآن، و يعقد الرايـة لأكـثـرهـم حـفظا للقرآن وإذا بعث بعثا جعل إمامهم في صلا تهم أكـثرهم قراءة للقرآن و يُقدّمُ لِلَّحْدِ في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن، و يزوج الرجـل المـرأة ويـمـهـرهـا مـا مـع الـرجل من القرآن، فضلا عن الأحاديث الكثيرة الداعية لحفظ القرآن وتعلمه وتعليمه.

٤ ــ حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن:

إدراكـا مـن الـرسول صلى الله عليه وسلم للأمانة الكبرى التى كلف بـهـا وهـي أن يـبلغ الناس القرآن «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ»(١).

وادراكا منه عليه الصلاة والسلام أن تبليغ القرآن يجب أن يكون كما سـمعه بلا زيادة ولا نقصان ولا استبدال لحرف بحرف او حركة بحركة، لـذا فـقـد كـان عـليه الصلاة والسلام يشعر بحرج شديد وخوف عظيم أن يـنسى شـيئا من القرآن مما جعله يحرك لسانه بالقرآن لحظة نزول الوحي مع شـسدة وطأة الوحي وما يعانيه من الجهد والكرب عند نزوله، ومازال صلى

---

١ ــ سورة الانعام، الآية: ١٩.

الله عليه وسلم كذلك حتى نزل عليه قوله تعالى
«لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»(١).
وقال سبحانه «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ»(٢)،

فكان صلى الله عليه وسلم بعد هذا إذا أتاه الوحي أطرق فإذا ذهب جبريل وجد الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن مجموعا في صدره كما وعده الله.

وقد حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كله وحفظه أصحابه وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة، في شهر رمضان وعارضه إياه في العام الذي توفي فيه مرتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»(٣) وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بالقرآن و يتلوه آناء الليل وأطراف النهار حتى كادت أن تتشقق قدماه.

٥ ــ حفظ الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم:

اشتد التنافس بين الصحابة رضي الله عنهم في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره وتسابقوا الى مدارسته وتفسيره والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يهجرون لذيذ المنام ودفء الفراش و يؤثرون قيام الليل والتهجد بالقرآن حتى كان يسمع لبيوتهم دو يا كدوي النحل لتلاوتهم القرآن.

---

١ ــ سورة القيامة: الآيات: ١٦ــ١٩.
٢ ــ سورة طه: الآية: ١١٤.
٣ ــ رواه البخاري جـ: ٤ص: ١٨٣.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم على ذلك ويحرص على سماع تلاوتهم فقد قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه «**لو رأيتني وانا استمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود**»(١) واستمع لتلاوة سالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنهما فقال له «**الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك**»(٢) وقال لابن مسعود رضي الله عنه (**اقرأ علي القرآن، فقال ابن مسعود: يارسول الله اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إنِّي أحبُّ أن أسمعه من غيري، فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى** « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا »(٣) **قال: حسبك الآن، قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان**»(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم «**إنِّي لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار**»(٥).

والأخبار كثيرة تشهد على عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم وتلاوته، وحفظه وعلى حث الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه على ذلك.

فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة إذ حفظه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الجم الغفير من الصحابة رضي الله عنهم.

---

١ ــ رواه مسلم، جـ١ ص٥٤٦.
٢ ــ مسند الامام أحمد جـ: ٦ص: ١٦٥.
٣ ــ سورة النساء: الآية: ٤١.
٤ ــ رواه البخاري: جـ٦ ص: ١١٣.
٥ ــ رواه مسلم، جـ: ٤ ص: ١٩٤٤.

فمن المهاجرين الذين حفظوا القرآن كله ابو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولي ابي حذيفة، وابو هريرة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وام سلمة(١).

ومن الأنصار عبادة بن الصامت، وأبَيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وأبوزيد بن السكن.

(إشكال)

روى البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث:

(الاول) عن قتادة قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبَيّ ابن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابوزيد(٢).

(الثاني) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: ابو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وابوزيد، قال ونحن ورثناه»(٣).

(الثالث) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة:

---

١ ــ الاتقان: السيوطي، جـ ١: ص: ٧٢.

٢ ــ رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٢ ــ ١٠٣.

٣ ــ رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٣.

«من عبد الله بن مسعود، وسالم ومعاذ وابي بن كعب»(١).

وقد يستدل بهذه الاحاديث على أن الذين يحفظون القرآن هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى ابي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبَيّ ابن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء.

وهذا يخالف ما هو معلوم أن الذين يحفظون القرآن من الصحابة جمٌّ غفير وليس محصورا بهذا العدد.

والجواب عن هذا الاشكال من وجوه:

الأول: أنَّه لا يراد بهذه الأحاديث الحصر وإنما يراد به ضرب المثل، و يشهد لهذا أنَّ أنساً نفسه ذكر في حديث «أبي بن كعب» وفي حديث آخر «أبا الدرداء» فلو كان المراد الحصر لا تفقت الأسماء في الحديثين.

الثاني: أنَّ المراد بالجمع الكتابة لا الحفظ.

الثالث: أنَّ المراد بالجمع حفظه بوجوه القراءات كلها.

الرابع: أنَّ المراد بالجمع تلقيه كله من فم الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخامس: أنَّ المراد أنهم هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم واتصلت بنا أسانيدهم وأمَّا من حفظه ولم يتصل بنا سنده فكثير(٢).

---

١ ــ رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٢.

٢ ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ: ١ ص: ٢٤٢.

قال المازري ــ رحمه الله تعالى ــ «وقد تمسك بقول انس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره، سلمناه، ولكن من أين لهم أنَّ الواقع في نفس الامر كذلك؟ سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل من الجَمِّ الغفير لم يحفظه كله ألاَّ يكون حفظ مجموعه الجَمُّ الغفيرُ، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كلُّ فردٍ جميعه. بل اذا حفظ الكلُّ الكُلَّ ولو على التوزيع كفى»(١).

وقد توافرت الدواعي لحفظ الصحابة للقرآن الكريم: ومنها:

١ ــ قوة الحافظة عندهم وسيلان الذهن وحدة الخاطر وفي التاريخ شواهد لذلك.

٢ ــ أنهم كانوا أميين لا يعرفون القراءة ولا يحذقون الخط والكتابة وجعلهم هذا لا يعولون إلا على قوة الحافظة.

٣ ــ تمكن الايمان من قلوبهم رضي الله عنهم وحب الله سبحانه وتعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب كتابه مما جعلهم يقبلون على حفظ القرآن.

٤ ــ بلاغة القرآن التي ملكت الأفئدة، وقد كانوا يتذوقون الكلام ويحفظون اجوده فلا عجب أن يقبلوا على حفظ القرآن.

٥ ــ النصوص الكثيرة الواردة في الحث على حفظ القرآن والترهيب من نسيانه وهجره.

٦ ــ تشريع قراءة القرآن في الصلاة والقيام به في الليل وهم أهل صلاة وقيام وغير ذلك من العوامل(٢) التى دفعتهم لحفظ القرآن حتى حفظه

---

١ ــ الإتقان: السيوطي جـ ١ ص: ٧٢ وفتح الباري: جـ ٩ ص ٥٢ والمرشد الوجيز: ص ٤٠ عن المعلم شرح صحيح مسلم للمازري (مخطوط).

٢ ــ انظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ من ص: ٢٨٤، الى ص: ٣٣١.

عدد كبير كما أشرنا و يكفى أنَّه قُتِلَ في بئر معونه نحوسبعين من حفاظ القرآن وقتل في معركة اليمامة مثلهم مما يدل على كثرة حفاظ القرآن الكريم في عهد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وعلى تنافسهم في حفظ القرآن وتحفيظه وتعلمه وتعليمه.

٦ ــ حفظ التابعين ومن بعدهم ــ رحمهم الله تعالى ــ للقرآن الكريم:

مر بنا أنَّ الصحابة رضي الله عنهم انتشروا في الآفاق الإسلامية والبلدان المفتوحة يعلمون الناس أمور دينهم و يعقدون حِلَقَ التعليم والتدريس في مساجد تلك البلدان، وأقبل عليهم كثير من الناس يتحلقون حولهم، و يتلقون العلم منهم وصار لبعض هذه المدارس شهرة كبيرة حملت كثيرا من التابعين على الرحلة إليها وتلقِّي العلم من أهلها كمدرسة ابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة ومدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه في المدينة ومدرسة ابن عباس رضي الله عنهما في مكة وغيرها من مدارس الصحابة رضي الله عنهم.

وكان الصحابة يعلمونهم القرآن الكريم ويحفظونهم إياه و يفسرون لهم معانيه و يبينون لهم أحكامه، وقد أقبل التابعون على هذه المدارس فكثر حفاظ القرآن الكريم ولم يقتصروا على تلاوته بل حفظوا أوجه قراءته واشتهر عدد كبير من الحفاظ بالقراءة والرواية.

وتجرد بعض التابعين رحمهم الله تعالى للعناية بضبط القراءات وإتقانها و وضع القواعد لها والأصول حتى صاروا أئمة يقتدى بهم.

٧ ــ حفظ القرآن الكريم في العصر الحديث:

أما في العصور الحديثة فمازالت المسيرة ــ والحمد لله ــ مستمرة يحفظ المسلمون القرآن في صدورهم مع تكالب الأحوال على المسلمين، واضطراب المعيشة ومغريات الحضارة، وتوافر الموانع، وانحسار الدوافع، ومازلنا نرى كثرة حفاظ القرآن الكريم ونجد إقبالا لا يخطر ببال ولا يحلم بمثله أهل كتاب.

فقد انتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم العديدة وأنشئت معاهد للقراءات وكليات القرآن في العديد من الدول الاسلامية والحمد لله.

٨ ــ خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

ولهذه النوع من الجمع مزايا وخصائص منها:

١ ــ أنَّ جمع القرآن بمعنى حفظه هو أول علم نشأ من علوم القرآن الكريم وذلك أنه حين نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء وجرى ما جرى تلا عليه الصلاة والسلام ما نزل عليه من القرآن على خديجة وذلك من حفظه فهو أول علم نشأ من علوم القرآن.

٢ ــ أنه دائم لا ينقطع إن شاء الله تعالى، فقد حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن وحفظه أصحابه والتابعون ومن بعدهم ومازال المسلمون يحفظونه إلى يوم القيامة فهو دائم لا ينقطع بخلاف جمعه بمعنى كتابته فقد مر بثلاث مراحل آخرها في عهد عثمان رضي الله عنه.

٣ ــ أن الحفظ في الصدور خاص بالقرآن وليس هناك كتاب يحفظه أهله غير القرآن.

٤ ــ أنه يجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلوات بخلاف جمعه بمعنى كتابته وتدو ينه فلا يجب على كل مسلم.

هذه بعض خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه.

النـــوع الثانـــي:

جمعه بمعنى كتابته وتدو ينه:

جُمِعَ القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات:

ـــ الجمع الأ ول: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ـــ الجمع الثاني: في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه.

ـــ الجمع الثالث: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المراد بالجموع الثلاثة:

وقد يُشْكِل على الذهن كيف يُجمع الشيء الواحد ثلاث مرات فإذا كان جُمِعَ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه وإذا جمع في عهد أبي بكر ثانية فكيف يُجمع ثالثة.

والجواب: أنَّه لا يُراد بالجمع معناه الحقيقي في جميع المراحل. فالمراد بجمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (كتابته وتدو ينه) والمراد بجمع القرآن في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه (جمعه في مصحف واحد). والمراد بجمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه (نسخه) في مصاحف متعددة.

و يظهر بهذا أنَّ الجمع بمعناه الحقيقي كان في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه.

وسنتحدث عن كل مرحلة من مراحل هذا الجمع:

أولا: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدو ينه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

كُتَّابُ الوحي:

اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدداً من الصحابة كان إذا نزل عليه شيء من القرآن أمر أحدهم بكتابته وتدو ينه و يعرف هؤلاء

الصحابة بـ«كُتَّاب الوحي» ومنهم:
الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاصي، وحنظله بن الربيع، والزبير بن العوام، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الأرقم، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم(١).

صفة هذا الجمع:

وصف هذا الجمع صحابيان جليلان فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلِّف القرآن من الرِّقاع» (٢) أي نجمعه لترتيب آياته من الرقاع، وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم **«كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.»** الحديث(٣).

أدوات الكتابة:

لم تكن ادوات الكتابة ميسرة للصحابة في ذلك الوقت فكانوا يكتبونه على كل ما تناله أيديهم من العُسُب (وهي جريد النخل).
واللِّخاف: (وهي الحجارة الرقيقة).
والرِّقاع: (وهي القطعة من الجلد أو الورق).

---

١ ــ انظر جوامع السيرة لابن حزم ص: ٢٦ــ٢٧، وزاد المعاد لابن القيم جـ: ١ ص: ٢٩، وكُتَّابُ الوحي للدكتور: أحمد عبد الرحمن عيسى، وكُتَّابُ النبي صلى الله عليه وسلم: للدكتور محمد مصطفى الاعظمي.
٢ ــ رواه الحاكم في المستدرك جـ: ٢ ص: ٢٢٩.
٣ ــ رواه الحاكم في المستدرك جـ: ٢ ص: ٢٢١.

والكرانيف: (وهي أطراف العُسُب العريضة).
والأقْتاب: (جمع قتَب وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه).
والاكتاف: (جمع كتف وهي عظم عريض للإبل والغنم).

وكان كُتَّابُ الوحي ــ رضي الله عنهم ــ يضعون كُلَّ ما يكتبون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينسخون لأنفسهم منه نسخة.

مميزات جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

١ ــ ثبت في السنة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف(١) ومما ورد في ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»**(٢) وقد كانت كتابة القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الأحرف السبعة.

٢ ــ أجمع العلماء على أنَّ جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مرتب الآيات أما ترتيب السور ففيه خلاف.

٣ ــ بعض ما كتب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نسخت تلاوته وظلَّ مكتوبا حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يُحرِّمْن» ثم نسخن «بخمس معلومات» فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنَّ فيما يُقرأ من القرآن(٣).

---

١ ــ سيأتي ان شاء الله تعالى بيان اقوال العلماء في المراد بالاحرف السبعة.
٢ ــ رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٠ ورواه مسلم جـ: ١ ص: ٥٦٠.
٣ ــ رواه مسلم جـ: ٢ ص: ١٠٧٥.

٤ ــ لم يكن القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعا في مصحف واحد، بل كان مفرقا في الرقاع والاكتاف واللخاف وغيرها ولهذا قال زيد ابن ثابت رضي الله عنه «قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء»(١) وقال ايضا لما أمر بجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه «فتتبعتُ القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال»(٢).

ولعلك تسأل بعد هذا لماذا لم يجمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مصحف واحد؟ وقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى على ذلك، وذكروا أسباباً منها:

١ ــ ان الله تعالى قد أَمَّنَ نبيَّه عليه الصلاة والسلام من النسيان بقوله سبحانه وتعالى: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ»(٣)، أي ما شاء أن يرفع حكمه بالنسخ فلا خوف إذن أن يذهب شيء من القرآن الكريم، وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فإن النسيان قد يقع فبادر المسلمون إلى جمعه في مصحف واحد(٤).

٢ ــ قال الخطابي «إنَّما لم يَجْمَعْ صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لِمَا كان يترقَّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهَمَ الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق

---

١ ــ فتح الباري، لابن حجر جـ: ٩ ص: ٩، الاتقان في علوم القرآن، السيوطي جـ: ١ ص: ٥٧.

٢ ــ صحيح البخاري جـ: ٦ ص: ٩٨ باب جمع القرآن الكريم.

٣ ــ سورة الاعلى، الآيتين ٦ــ٧.

٤ ــ البرهان: الزركشي: جـ: ١ ص: ٢٣٨.

بضمان حفظه على هذه الأمة(١).

٣ ــ أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة.

٤ ــ أن ترتيب آيات القرآن وسورة ليس على حسب ترتيب نزوله، ولو جمع القرآن في مصحف واحد حينذاك لكان عرضة للتغيير كلما نزل شيء من القرآن(٢).

ولم يكن الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذا اختلفوا في شيء من القرآن يرجعون إلى ما هو مكتوب بل كانوا يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيعرضون عليه قراءتهم و يسألونه عنها.

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقتل بعض القراء من الصحابة دعت الحاجة إلى جمع القرآن في مصحف واحد، فكان ذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

١ ــ الإتقان: السيوطي جـ: ١ ص: ٥٧، وانظر شرح السنة: للبغوي جـ: ٤ ص: ٥١٩.

٢ ــ مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ ص: ٢٤١ــ٢٤٢.

ثانيا: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

سببه:

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض قبائل العرب فأرسل أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش لقتال المرتدين وكان قوام هذه الجيوش هم الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم حُفَّاظ القرآن، وكانت حروب الردة شديدة قتل فيها عدد من القراء الذين يحفظون القرآن الكريم، فخشي بعض الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته(١) فأراد أن يجمع القرآن في مصحف واحد بمحضر من الصحابة.

وقصة ذلك رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: «أرسل إليَّ أبو بكر ــ مقتل أهل اليمامة ــ فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحر(٢) يوم اليمامة بقرآء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرآء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنِّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال ابو بكر: إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا

---

١ ــ شرح السنة: البغوي، جـ: ٤ ص: ٥٢١.

٢ ــ يعني: اشتد وكثر.

لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع أحد غيره «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم» حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصه بنت عمر رضي الله عنه»(١).

تاريخ هذا الجمع:

هو كما جاء في الحديث بعد معركة اليمامة، وفي السنة الثانية عشرة من الهجرة.

أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذا الجمع:

ترجع أسباب اختيار زيد بن ثابت لأمور منها:

١ ــ أنَّه كان من حُفَّاظ القرآن الكريم.

٢ ــ أنَّه شهد العَرْضة الاخيرة للقرآن الكريم، وقد روى البَغَويُّ عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي أنَّه قال: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين إلى أن قال عن زيد بن ثابت أنه «شهد العرضة الأخيرة، وكان يُقرىء الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده ابو بكر وعمر في جمعه، وولاَّه عثمان كتْبة المصاحف رضي الله عنهم اجمعين»(٢).

---

١ ــ صحيح البخاري جـ: ٦ ص: ٩٨ــ٩٩.

٢ ــ شرح السنة: البغوي جـ: ٤ ص: ٥٢٥ــ٥٢٦، والبرهان للزركشي، جـ: ١ ص: ٢٣٧، والاتقان للسيوطي جـ: ص: ٥٠.

٣ ــ أنَّه من كُتَّاب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ خصوبة عقله، وشدة ورعه، وكمال خلقه، واستقامة دينه، وعظم امانته و يشهد لذلك قول ابي بكر رضي الله عنه له « إنك رجل شاب، عاقل، لانتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم» وقوله نفسه رضي الله عنه «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن».

منهج زيد في هذا الجمع:

من المعلوم أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يحفظ القرآن كله في صدره وكان القرآن مكتوبا عنده ومع هذا فلم يعتمد على ما حفظه ولا على ما كتب بيده وذلك أنَّ عمله ليس جمعَ القرآن فحسب، وإنَّما التوثيق والتثبت فيما يكتب ولهذا يقول الزركشي رحمه الله تعالى عن زيد «وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم»(١) وقال ابن حجر رحمه الله تعالى «وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم»(٢).

وقد رسم أبو بكر رضي الله عنه لزيد المنهج لهذا الجمع فقال له ولعمر ابن الخطاب رضي الله عنه «اقعدا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه»(٣)(٤).

---

١ ــ البرهان، الزركشي جـ: ١ ص: ٢٣٤.

٢ ــ فتح الباري، ابن حجر جـ: ٩ ص: ١٥.

٣ ــ المصاحف: لابن أبي داود ص: ١٢. وجمال القراء: جـ ١ ص: ٨٦.

٤ ــ قال ابن حجر: «ورجاله ثقات مع انقطاعه» فتح الباري جـ: ٩ ص: ١٤.

وقد امتثلا ذلك فقد قام عمر في الناس فقال: «من كان تلَقىَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به»(١).

وقد بيَّن زيدُ نفسه المنهج الذي سلكه بقوله رضي الله عنه «فتتبعتُ القرآن أجمعه من: الصحف والعسب واللخاف وصدور الرجال» (٢).

وعلى هذا فإنَّ منهج زيد في جمع القرآن الكريم في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه يقوم على أسس أربعة:

ـ الأول: ما كُتِبَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ـ الثاني: ما كان محفوظا في صدور الرجال.

ـ الثالث: أن لا يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، قال السخاوي معناه: «من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: «وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ»(٤).

ـ الرابع: أن لا يقبل من صدور الرجال الا ماتلقوه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم فان عمر رضي الله عنه ينادى «من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأتنا به» ولم يقل من حفظ شيئا من القرآن فليأتنا به.

---

١ ـ المصاحف: ابن ابي داود ص: ١٧.

٢ ـ صحيح البخاري جـ: ٦ ص: ٩٨ـ٩٩.

٣ ـ جمال القراء: السخاوي جـ ١ ص ٨٦.

٤ ـ فتح الباري: ابن حجر جـ: ٩ص: ١٥، وانظر المرشد الوجيز: لأبي شامة ص٥٧.

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١ ــ جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدقّ وجوه البحث والتحرّي والإتقان على الوجه الذي أشرنا اليه في منهج الجمع.

٢ ــ أهْمِلَ في هذا الجمع ما نُسِخت تلاوته من الآيات.

٣ ــ أنَّ هذا الجمع كان بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كما كان في الرِّقاع التى كتبت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ ــ أنَّ هذا الجمع كان مرتب الآيات باتفاق واختلف العلماء في السور هل كانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان رضي الله عنه.

٥ ــ اتفق العلماء على أنه كُتِبَ نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها ابوبكر باعتباره إمام المسلمين.

٦ ــ ظفَرَ هذا الجمعُ باجماعِ الأمةِ عليه وتواتر ما فيه.

مكانة هذا الجمع:

ظفر هذا الجمع باتفاق الصحابة رضي الله عنهم على صحته ودقته وأجمعوا على سلامته من الزيادة أو النقصان وتَلقَّوه بالقبول والعناية التي يستحقها حتى قال عليٌّ بن ابي طالب رضي الله عنه «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبوبكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين»(١).

---

١ ــ المصاحف: ابوداود السجستاني ص: ١١.

تسميتــه بالمصحــف:

لـم يـكـن (المـصـحـف) يُطلق على القرآن قبْلَ جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإنَّما عُرِفَ هذا الاسم بعد أن أتمَّ زيد جمع القرآن فقد روى السـيـوطي عن ابن أشته في كتابه (المصاحف) أنَّه قال: «لما جمعوا القرآن فكـتـبـوه في الـورق قال ابوبكر التمسوا له إسما فقال بعضهم السِّفْر وقال بعضهم المصحف فإنَّ الحبشة يسمونه المصحف وكان أبوبكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف»(١).

خــبر هذا المصحف:

بـعـد أن أتـمَّ زيـد جـمع القرآن في المصحف سَلَّمَه لأ بي بكر الصديق رضي الله عـنـه فحفظه عنده حتى وفاته ثم انتقل إلى أمير المؤمنين من بعده عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه و بعد وفاته انتقل المصحف إلى حفصة أم المؤمـنين رضي الله عـنـها لأن عمر رضي الله عنه جعل أمْرَ الخلافة من بعده شـورى، فـبـقـي عند حفصة إلى أن طَلَبه منها عثمان رضي الله عنه لنسخه بـعد ذلك ثم أعاده إليها ــ لما سيأتي ــ ولما توفِّيت حفصة رضي الله عنها أرسـل مـروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ساعة رجـعـوا مـن جنازة حفصة بعزيمة لَيُرْسِلَنَّ بها فأرسل بها ابنُ عمر إلى مروان فـمـزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف ما نسخ عثمان رضي الله عنه(٢).

---

١ ــ الا تقان: السيوطي جـ: ص: ٥١.

٢ ــ المرشد الوجيز: ابوشامة المقدسي، ص: ٥٢.

ثالثا: جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

سببه:

عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين وكان كل صحابي يُعَلِّمُ بالحرف الذى تَلقَّاه من الأحرف السبعة فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبَيِّ بن كعب رضي الله عنه فيأتون بما لم يَسمع أهلُ العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقرآءة عبد الله ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهلُ الشام فيُكَفِّر بعضهم بعضا(١).

وعندما اتجه جيش المسلمين لفتح «أرمينيه» و«أذربيجان» كان الجنود من أهل العراق وأهل الشام فكان الشِّقاق والنزاع يقع بينهم ورأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة و بعض ذلك مشوب باللحن مع إلف كل منهم لقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كَفَّرَ بعضهم بعضا فأفزع هذا حذيفة رضي الله عنه فقال والله لأ ركبَنَّ إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد كان المُعَلِّم يُعَلِّم بقراءة والمعلم الآخر يعلم بقراءة فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيبا وقال «أنتم عندي تختلفون فيه فتَلْحَنُون فمن نأى عني من الأمصار أشدّ فيه اختلافا وأشدّ لحناً، اجتمعوا ياأصحاب محمد، واكتبوا للناس إماماً»(٢).

---

١ ــ فتح البارى، ابن حجر العسقلاني جـ: ٩ص: ١٨.

٢ ــ المصاحف: ابن ابي داود ص: ٢٩.

فلمَّا جاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما جرى تحقَّق عند عثمان ما توقعه، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح «أرمينيه» و«أذربيجان» مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب إختلاف اليهود والنصاري فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان(١).

تاريخ هذا الجمع:

كان ذلك في أواخر سنة ٢٤ وأوائل سنة ٢٥ كما قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى(٢).

فكرة الجمع:

لما سَمِع عثمان رضي الله عنه ما سمع وأخبره حذيفة رضي الله عنه بما رأى استشار الصحابة فيما يفعل، فقد روى إبن أبي داود بإسناد صحيح ــ كما يقول إبن حجر(٣)ــ من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ياأيها الناس لا تغلُوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف.. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأ منَّا جميعاً، قال ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أنَّ بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون

---

١ ــ صحيح البخاري: جـ: ٦ص: ٩٩.

٢ ــ فتح الباري: ابن حجر جـ: ٩ ص: ١٧.

٣ ــ فتح الباري: ابن حجر، جـ: ٩ص: ١٨.

اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل(١).

اللجنة المختارة:

اختار عثمان رضي الله عنه أربعة لنسخ المصاحف هم:
زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وهؤلاء الثلاثة من قريش.

فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت قال: فأي الناس أعرب؟ وفي رواية أفصح. قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليُملِ سعيد، وليكتب زيد»(٢).

المنهج في هذا الجمع:

بعد ان اتفق عثمان مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على جمع القرآن على حرف سلك منهجاً فريداً، وطريقاً سليماً، أجمعت الأمة على سلامته ودقته.

١ ــ فبدأ عثمان رضي الله عنه بأن خطب في الناس فقال: «أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون «قراءة أبي» و«قراءة عبد الله» يقول الرجل «والله ما تقيم قراءتك»!! فأعزمُ على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لمَّا جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل

---

١ ــ المصاحف: ابن أبي داود ص: ٣٠.
٢ ــ فتح الباري: ابن حجر، جـ: ٩ص: ١٩.

عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم، لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم»(١).

٢ ــ وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك، فأرسلت بها إليه، ومن المعلوم أن هذه الصحف هي التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أدق وجوه البحث والتحري.

٣ ــ ثم دفع ذلك إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة وأمرهم بنسخ مصاحف منها وقال عثمان للقرشيين «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» (٢).

٤ ــ إذا تواتر في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أيّة علامة تقصِرُ النطقَ بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتملُ القراءتين أو القراءات فيها جميعا مثل:

أ) (فَتَبَيَّنُوٓاْ)(٣) التى قُرأت ايضا (فتثبتوا)(٤).

ب) (نُنشِزُهَا)(٥) قُرأت ايضا (ننشرها)(٦).

---

١ ــ المصاحف: ابن ابي داود، ص: ٣١. وانظر جمال القراء: جـ: ١ص: ٨٩.

٢ ــ صحيح البخاري: جـ: ٦ص: ٩٩.

٣ ــ سورة الحجرات : من الآية: ٦.

٤ ــ وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر في القراءات العشر، ابن الجزري جـ: ٢ ص ٢٥١.

٥ ــ سورة البقرة: من الآية : ٢٥٩.

٦ ــ الاولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي والباقون بالراء المهملة (اتحاد فضلاء البشر: البناء ص: ١٦٢).

أما إذا لم يمكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل:

أ) (وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ)[1] هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها (وأوصى)[2].

ب) (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْـــفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)[3] بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو[4].

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كلّ سنة لعرض المصاحف فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة [5].

---

١ ــ سورة البقرة من الآية: ١٣٢.

٢ ــ وهي قراءة نافع وابن عامر (اتحاف فضلاء البشر ص: ١٤٨).

٣ ــ سورة آل عمران: من الآية: ١٣٣.

٤ ــ وهي قراءة نافع وابن عامر (اتحاف فضلاء البشر ص: ١٧٩).

٥ ــ المصاحف: ابن أبي داود ص: ١٧٥.

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

تميَّز هذا الجمع بمزايا عديدة منها:

١ ــ الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة، قال ابن القيم رحمه الله تعالى «جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها لمَّا كان ذلك مصلحة»(١).

٢ ــ إهمال ما نسخت تلاوته:

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أُثْبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثْبَتٍ رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد(٢).

٣ ــ الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه.

فقد روى ابن أبي داود في المصاحف عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لمَّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه، قال محمد فقلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد فظننت ظنًّا أنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله(٣).

---

١ ــ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم ص: ١٦.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ١ص: ٦٠.

٣ ــ المصاحف: ابن ابي داود ص: ٣٣.

٤ ــ الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما لم يثبت(١).

٥ ــ كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن

قال الحاكم في المستدرك: «إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جُمِعَ بعضه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين»(٢).

الفروق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما:

كان معنى (الجمع) ظاهرا في جمع القرآن في عهد أبي بكر فقد كان القرآن مفرقا فأمر بجمعه كما قال المحاسبي «كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء»(٣).

إذاً فمعنى الجمع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تفريق بينه وبين الجمع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن الإشكال واللبس هو في الجمعين الثاني والثالث، إذ كيف يأمر عثمان بجمع القرآن وهو مجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما؟! ولذا فإنَّ العلماء يُوْلُون التفريق بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان عنايتهم لإزالة هذا اللبس، ويذكرون فروقا:

قال القاضي أبو بكر في الانتصار، «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن

---

١ ــ البرهان، الزركشي جـ: ١ ص: ٢٣٥.

٢ ــ المستدرك: الحاكم جـ: ٢ص: ٢٢٩.

٣ ــ البرهان: الزركشي جـ: ١ص: ٢٣٨.

النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك»[1] وقال ابن التين وغيره «الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنَّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرتّباً لآيات سُوَرِه على ما وقَّفَهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لمَّا كَثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدَّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بانه نزل بلغتهم[2].

ومن هذين النصين نستطيع أن نستخلص أهم الفروق وهي:

١ ــ أنَّ الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته وذلك حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الرِّدَّة، أمَّا جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

ــ أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على حرف واحد.

٣ ــ أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه كان مرتب الآيات وفي ترتيب السور خلاف، أمَّا جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق.

٤ ــ إن الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمعنى الكتابة والتدوين وأما الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه فبمعنى نسخه في مصاحف متعددة.

---

١ ــ البرهان: الزركشي جـ: ١ ص: ٢٣٥.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ١ص: ٥٩ــ٦٠.

إنفـــاذ المصاحـــف:

بـعـد أن أتـمَّت اللجنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإسلام بنسخ منها وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدني وبعث عبدالله بن السائب مع المكي والمغيرة بن أبي شهاب[1] مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقى التابعون في كل قطر قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم[2].

---

١ ــ انظر غاية النهاية: جـ ٢ ص ٣٠٥ حيث قال: «الصواب ابن أبي شهاب» وهو عند بعضهم المغيرة بن شهاب.

٢ ــ مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ص: ٣٩٦ــ٣٩٧.

موقف الصحابة من هذا الجمع:

وبعد أن أنفذ عثمان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يُحرق وبعث (إلى اهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم)(١).

وقد رضي الصحابة رضي الله عنهم ما صنع عثمان وأجمعوا على سلامته وصحته قال زيد بن ثابت «فرأيت اصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان»(٢).

وروى ابن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد»(٣).

وروى سويد بن غفلة قال: قال علي ــ رضي الله عنه ــ لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف الا عن ملأ منا»(٤) وعند ابن أبي داود قال: قال علي في المصاحف (لو لم يصنعه عثمان لصنعته)(٥).

ولم يُنقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل عثمان رضي الله عنه، إلا ما روي من معارضه عبد الله بن مسعود وينبغي أن نعلم أنَّ معارضته رضي الله عنه لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو

---

١ ــ فتح الباري: ابن حجر جـ: ٩ص: ٢١.
٢ ــ غرائب القرآن: النيسابوري جـ: ١ص: ٢٧.
٣ ــ المصاحف: ابن أبي داود، ص: ١٩.
٤ ــ فتح الباري، ابن حجر جـ: ٩ص: ١٨.
٥ ــ المصاحف: ابن ابي داود، ص: ١٩.

نقص أو زيادة وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة النسخ للمصاحف، ولهذا يقول «أعْزَلُ عن نسخ المصاحف وتَوَلاَّها رجل والله لقد أسلمت وإنَّه لفي صُلب رجلٍ كافرٍ»(١).

وروى الترمذي عن ابن شهاب قال، «فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»(٢)، وقد دافع أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد بقوله «ولم يكن الاختيار لزيد.. إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيَّ، ولا ينبغي أن يظنَّ جاهل أنَّ في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود، لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمته عليه لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيراً منهما ولا مساو يا لهما في الفضائل، والمناقب، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يُشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم»(٣) وأكَّد ذلك الذهبي فقال: «وقد ورد أنَّ ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد»(٤) وقال ابن كثير (وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف إلى أن قال.. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق»(٥).

---

١ ــ المرجع السابق، ص: ٢٤ــ٢٥، وتفسير القرطبي جـ: ١ص: ٥٢، ٥٣.

٢ ــ جامع الترمذي جـ: ٥ص: ٢٨٥.

٣ ــ تفسير القرطبي جـ: ١ص: ٥٣.

٤ ــ سير اعلام النبلاء للذهبي جـ: ١ص: ٤٨٨.

٥ ــ فضائل القرآن: ابن كثير ص: ٢٠.

فإن قيل كيف جاز للصحابة ترك الاحرف الستة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن بها واقتصروا على حرف واحد؟

قيل: إنَّ أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة.. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم بقية الأحرف تاركين ما عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما يؤدون به الواجب وهو أحد هذه الأحرف فإذا حفظوه ونقلوه فقد فعلوا ما كلفوا به(١).

وقد علَّل ابن القيم رحمه الله تعالى جمع الناس على حرف واحد، فأحسن حيث قال: «فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدَّة طرق الى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرَّق والتشتيت و يطمع فيهم العدو فرأى الأمامُ جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة»(٢).

عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها:

اختلف في عدد النسخ التى كتبها عثمان إلى خمسة أقوال:

١ ــ قيل انها أربع نسخ:

قال أبو عمرو الداني: «أكثر العلماء على أنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لمَّا كتب المصحف جعله على أربع نسخ و بعث إلى كلَّ ناحية

---

١ ــ انظر تفسير ابن جرير الطبري جـ: ١ص: ٦٤، وما بعدها.

٢ ــ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم ص: ١٦.

من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة(١).

٢ ــ قيل انها خمس نسخ:

قال السيوطي «المشهور أنها خمسة»(٢).

٣ ــ قيل انها سبع نسخ:

فقد روى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: لمَّا كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحداً إلى مكة وآخر الى الشام وآخر الى اليمن، وآخر الى البحرين، وآخر الى البصرة، وآخر الى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً»(٣).

وقيل انها ثمانية وقيل انها ستة.

خبر هذه المصاحف:

ذكر بعض المؤرخين القدامى رؤيتهم لبعض هذه المصاحف وممن ذكر رؤيته لبعضها ابن جبير حين زار جامع دمشق رأى في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه وهو المصحف الذي وجه به الى الشام كما قال(٤): «وقد زار المسجد ايضا ابن بطوطه فقال: «وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التى يؤم فيها إمام الشافعية وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن

---

١ ــ المقنع: لابي عمرو الداني ص: ٩.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ١ ص: ٦٠.

٣ ــ المصاحف: ابن ابي داود ص: ٤٣.

٤ ــ رحلة ابن جبير: ص: ٢١٧.

عفان رضي الله عنه إلى الشام»[1] ورأى النسخة نفسها ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال: «وأمَّا المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديما في طبريَّة، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمس مائة وقد رأيته كتاباً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل والله اعلم[2] كما ذكر ابن بطوطة أنه رأى في مسجد علي رضي الله عنه في البصرة المصحف الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قُتِلَ، وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[3][4] و يبدو كذلك أن ابن الجزري وابن فضل الله العمري قد رأيا كلاهما هذا المصحف الشامي نفسه[5]. ورأى ابن الجزري مصحفا في مصر[6].

و يبدو ــ كذلك ــ أنَّ هذا المصحف ظلَّ محفوظا في الجامع الأموي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري حيث قيل انه احترق، فقد قال الاستاذ محمد كرد علي في حديثه عن الجامع الاموي حتى اذا كانت سنة ١٣١٠هـ. سرت النار إلى جذوع سقوفه فالتهمتها في أقل من ثلاث ساعات فدثر اخر ما بقي من آثاره ورياشه وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي كان جيء به من مسجد عتيق في بُصرى وكان الناس يقولون إنه المصحف العثماني[7] وقيل ان هذا المصحف أمسى زمناً في

---

١ ــ رحلة ابن بطوطة جـ: ١ ص: ٥٤.
٢ ــ فضائل القرآن: ابن كثير، ص: ٢٩
٣ ــ سورة البقرة: من الآية: ١٣٧.
٤ ــ رحلة ابن بطوطة: جـ: ١ ص: ١١٦.
٥ ــ مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص: ٨٨، ٨٩.
٦ ــ مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ ص: ٣٩٧.
٧ ــ خطط الشام، محمد كرد علي جـ: ٥ ص: ٢٦٢.

حوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينجراد ثم نقل الى انجلترا[1].

كما أن هناك مصاحف أثرية تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر، ومنها المصحف المحفوظ في خزائن المحفوظ في خزائن الآثار بالمسجد الحسيني، و يقال عنها إنها مصاحف عثمانية، وقد شكك كثيراً الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بهذا معللا بأن فيها زركشة ونقوشا موضوعة كعلامات للفصل بين السور ولبيان أعشار القرآن، ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا[2].

وفقد هذه المصاحف لا يقلل من ثقتنا اليقينية بما تواتر واستفاض نقله من المصاحف ثقة عن ثقة وإماما عن إمام، وسواء وجدت هذه المصاحف أو فقدت فإنّا على يقين تام لا يزاوله شك ولا يعتريه ريب بسلامة هذه المصاحف من الزيادة أو النقصان، وقد إعترف بذلك غير المسلمين من العلماء المحققين يقول المستشرق مو ير: «إنّ المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الاطلاق في النسخ التى لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الاسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يُعدّ اكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا[3].

---

١ ــ مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص: ٨٩.

٢ ــ مناهل العرفان، الزرقاني جـ: ١ص: ٣٩٧. وانظر ما كتبته الدكتورة/ سعاد ماهر عن المصاحف الأثرية في مصر والمنسوبة الى عثمان رضي الله عنه، وذلك في كتابها (مخلفات الرسول في المسجد الحسيني) من ص: ١٠٩ الى ص: ١٣٤.

٣ ــ مدخل الى القرآن: د. محمد عبد الله دراز، ص: ٤٠.

جمعه بمعنى تسجيله تسجيلا صوتيا:

من المعلوم أنَّ للتلاوة أحكاماً ينبغي أن يأخذ بها تالي القرآن الكريم كالقلقلة والرَّوْم والإشْمَام، والإخفَاء، والإدْغَام، والإقْلاَب، والإظْهار، ونحو ذلك. وليس من السهل بل قد تتعذر كتابة مثل هذا.

ولهذا قرر العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها، بل لابُدَّ من التلقِّي عن حافظٍ متقنٍ، وكانوا يقولون: (من أعظم البَلِيَّة تشييخ الصحيفة)(١). و يقولون: (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفيّ)[٢] وهو الذي يُعَلِّمُ الناس و ينظر إلى رسم المصحف. وكان الشافعي ــ رحمه الله تعالى ــ يقول: (من تفقه من بطون الكتب ضَيَّعَ الأحكام)(٣). بل إنَّ أعلام حُفَّاظ القرآن يُميزون الحفظ بالتلقي، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «والله لقد أخذت مِنْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة»(٤) ويبين عمَّن أخذ باقيه فيقول في رواية أخرى: «وأخذتُ بقية القرآن عن أصحابه»(٥). ولإدراكه ــ رضي الله عنه ــ مكانة التلقي بالمشافهة كان إذا سئل عن

---

١ ــ تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعه، ص: ٨٧.

٢ ــ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري، ص: ١٠.

٣ ــ تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة، ص: ٨٧.

٤ ــ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جـ: ٦ص: ١٠٢. واللفظ له ورواه مسلم بلفظ آخر كتاب فضائل الصحابة جـ: ٤ص: ١٩١٢.

٥ ــ فتح الباري، ابن حجر، جـ: ٩ص: ٤٨.

سورة لم يكن تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح لهم بذلك، ودَلَّهم على من تلقاها بالمشافهة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن معد يكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ (طسم) المئتين، فقال: ما هي معي ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم خبَّاب بن الأ رت، قال: فأتينا خباب بن الأ رت، فقرأها علينا(١).

وما قاله ابن مسعود وغيره من أعلام الحفاظ في وجوب التلقي للقرآن مشافهة لم يبتدعوه من عند انفسهم وإنما أخذوه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه يتعلم القرآن من جبريل عليه السلام و يُشافهه به مشافهة، و يُعارضه القرآن في كل عام في شهر رمضان، وعارضه عام وفاته بالقرآن مرتين، والصلوات الخمس يُجْهَرُ في ثلاثٍ منها، وكذا في صلاة الجمعة، والاستسقاء، والخسوف، والكسوف، والتراو يح، و يُسَرُّ في باقيها، وفي هذا إشارة إلى تعلم الناس للتلاوة الصحيحة في الصلاة الجهرية ثم تطبيقها في الصلاة السرية.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث القراء إلى من يدخل في الاسلام لتعليمهم التلاوة وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم، واقتدى بسنته من بعده الخلفاء الراشدون فأرسلوا إلى أهل البلدان المفتوحة قراء يعلمونهم القرآن، ولما نسخ عثمان المصاحف أرسل مع كل مصحف قارئاً يُعَلِّم الناس عليه.

---

١ ــ مسند الامام احمد جـ: ٦ص: ٣٤، بتحقيق احمد شاكر، رقم ٣٩٨٠، وقال: اسناده صحيح.

ولا شك أنَّ هذا دليل قاطع على أن من أحكام القراءة ما لا يمكن إتقانه إلا بالتلقي الشفهي.

ولم يكن من وسيلة لتحقيق ذلك إلا عن طريق القراء وقد جَدَّت في العصر الحديث وسائل وآلات تسجل الصوت، ثم تعيده.

ولا شك أنَّ تسخير هذه الالات والاستفادة منها في نشر القرآن الكريم وبثه في العالم الإسلامي خاصة في البلدان التي تفتقد المُعَلِّمَ الضابط من خير الوسائل لحفظه وتعليمه.

وقد أدرك هذا الامر بعضُ الغيورين على الاسلام والحريصين على نشره فتداعوا لجمع القرآن في أشرطة صوتية كما جُمِعَ على الورق في الصحف.

وتبنَّت الجمع الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بمصر وكان ذلك سنة ١٣٧٩هـ باقتراح من رئيسها الأستاذ لبيب السعيد(١)، وقد اتفقوا على تسمية المشروع بـ(المصحف المرتل) أو (الجمع الصوتي).

أمَّا المُصحف: مثلثة الميم، والأصلُ والأشهر الضمُّ، وهو مأخوذ من «أُصْحِفَ» أي جعلت فيه الصحف(٢).

واصطلاحا: هو مجموعة صحائف القرآن مرتبة الآيات والسور على الوجه الذي تلقته الأمة الاسلامية من النبي صلى الله عليه وسلم.

والفرق بين المصحف والقرآن أنَّ المصحف اسم لمجموع الصحائف المدوَّن فيها القرآن، أمَّا القرآن الكريم فهو الألفاظ ذاتها.

---

١ ــ اعتمدت فيما اوردت عن قصة هذا الجمع على ما كتبه الاستاذ لبيب السعيد في كتابه (الجمع الصوتي الاول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل).

٢ ــ القاموس المحيط: ص ١٠٦٨ ولسان العرب: جـ ٩ ص ١٨٦.

المُرَتَّل لغة: مأخوذ من رَتَل الثَّغْر، إذا استوى نباته، وحسن تنضيده، وكان مُفلِجاً.

واصطلاحا: القراءة بتؤده واطمئنان وإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطاءه حقه ومستحقه ومع تدبر المعاني، وقيل هو رعاية مخارج الحروف، وحفظ الوقوف والترتيلُ أفضل مراتب القراءة الأربع وهي:

١ ــ التحقيق: وهو أكثرها اطمئنانا واكثر ما يستعمل في التعليم.

٢ ــ الترتيل: القراءة بتؤده واطمئنان.

٣ ــ التدوير: وهي مرتبة بين الترتيل والحدر.

٤ ــ الحدر: وهو الاسراع بالقراءة مع مراعاة الاحكام.

المراد به: المصحف المرتل هو التسجيل المسموع للقرآن الكريم.

أدواته: أجهزة التسجيل الحديثة وأشرطته واسطواناته ونحوها.

سببه: أمّا بواعث التفكير في الجمع الصوتي للقرآن الكريم فكثيرة منها:

١ ــ اقتضاء المحافظة على القرآن الكريم وذلك عن طريق:

أ ــ تيسير التَلَقِّي الشفهيِّ الذي لا محيص عنه لطالب القرآن والذي بغيره لا يُؤمن التصحيف.

ب ــ المحافظة على القراءات التي نزل بها القرآن وأجمع عليها المسلمون وثبت تواترها.

ج ــ المنع من القراءة بالشواذ التى تعلق بها أفراد من القراء.

٢ ــ تيسير تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه.

أ ــ لأنَّ المصاحف المُرتَّلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الصحيح.

ب ــ لأنَّها تُيَسِّر القرآن للحفظ والتعليم خاصة في البلدان التى تفتقد المعلم الضابط.

ج ــ لأنَّها طِبُّ اختلاف الرسم العثماني عن الرسم الإملائي المعروف.

٣ ــ ضرورة الذود عن القرآن الكريم ضد الطاعنين عليه وضد كل محاولة لتحريفه وكل عقبة تُوضع أمام وُحدة أتباعه أو أمام نشره وتوزيعه بين المسلمين وذلك بأن يُبَثّ في الإذاعات ونحوها.

٤ ــ معاضدة المصحف العثماني الذي أجمع المسلمون عليه.

٥ ــ درء أيّ تحريف عن القرآن الكريم.

٦ ــ نشر لغة القرآن الكريم وتوطيد الوحدة بين المسلمين.

تاريخ المصحف المرتل:

عُقِدَ أولُ اجتماع في الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم برئاسة الأستاذ لبيب السعيد لدراسة الموضوع في مساء ١٤/رمضان/١٣٧٨هـ في القاهرة وتمت الموافقة عليه و وضعت الشروط والمواصفات.

بدء الطبع:

لاقى المشروع في بدايته عقبات كثيرة مادية وعلمية وغيرها، وقد تجاوز بحمد الله كلَّ هذا، و بدأ الطبعُ لأ ول مرة سنة ١٣٧٩هـ في ذي القعدة، وانتهت الطبعة الاولى في المحرم من عام ١٣٨١هـ وذلك بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري براو ية حفص عن عاصم، فأعقب هذا سنة ١٣٨٢هـ تسجيلُ قراءة أبي عمرو برواية الدوري.

كيفية التسجيل:

لم يكن التسجيل شيئا هينا فمع امتياز القارىء وكونه قد أصبح آنئذ شيخ المقارىء المصرية فقد كانت اللجنة تستوقفه كثيراً ليُعيد التسجيل على النحو النموذجي المطلوب.

القــراء وهم:

١ ــ محمود خليل الحصري و يقرأ برواية حفص عن عاصم.

٢ ــ مصطفى المَلّواني و يقرأ برواية خلف عن حمزة.

٣ ــ عبد الفتاح القاضي و يقرأ برواية ابن وردان عن أبي جعفر.

٤ ــ فؤاد العروسي، ومحمد صديق المنشاوي، وكامل يوسف البهتيمي برواية الدوري عن أبي عمرو.

ترتيب سور القرآن الكريم وآياته

وهذا مبحث مهم من المباحث الجليلة، أولاه العلماء اهتمامهم وعنايتهم وزادت قيمته ومكانته حين ظهر الاتجاه الحديث في الدراسات القرآنية بتناول السور القرآنية مستقلة بناء على الوحدة الموضوعية، وأنَّ كلَّ سورةٍ ذاتُ هدفٍ مُعيَّنٍ وغرض اساس أنزلت لأجله، وأكَّدُوا على هذا المعنى باعتباره مدخلا لفهم معانيها وكشف أسرارها وحِكَمِها ثم بنوا على ذلك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم و بيان المناسبات بين الآيات والسور.

وتقسيمُ القرآن إلى سور وآيات من خصائصه التي لا يشاركه فيها كتاب آخر قال الجاحظ: «سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل سمى جُملته قرآنا كما سموا ديوانا، و بعضه سورة كقصيدة، و بعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية»(١).

أولا: سور القرآن الكريم:

السور: جمع سورة، وفي نطق (السورة) لغتان:

أولاهما: (السُّؤرة) بالهمزة مشتقة من (أسأر) أي أبقى (والسُّؤر) البقية التى تبقى من شرب الشارب في الإناء، وسُمِّيت سُؤرة كأن السؤرة بقية جملة القرآن وقطعة منه.

ثانيهما: (السورة) بدون همز ومعناها في اللغة المنزلة والشرف وما طال من البناء وحسن، والعلامة، وسُميت السورةُ سورة لارتفاعها وشرفها

---

١ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص٥٠.

وكونها علامة على صدق من جاء بها، ودليلاً على أنَّ هذا القرآن من عند الله، وهي تشبه السُّور من وجهين:

ـ الأول: أنَّ السُّور له عُلُوٌ حسِّيٌّ والسورة لها علو معنوي.

ـ الثاني: أنَّ السور يقوم بناؤه على لَبِنَات بعضها فوق بعض والسورة يقوم بناؤها على آيات يتبع بعضها بعضا.

أمَّا في الإصطلاح: فهي (طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع).

طريق معرفة السورة:

معرفة سور القرآن الكريم من حيث بداية كل سورة ونهايتها توقيفي لا مجال للإجتهاد فيه.

عدد سور القرآن:

قال الزركشي رحمه الله تعالى: «إعلم أنَّ عددَ سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحَلِّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس، وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة، و يرُدُّه تسميةُ النبي صلى الله عليه وسلم كلا منهما»(١).

أسماء السور:

تنقسم سور القرآن من حيث تعدد الإسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

ـ الأول: ماله إسم واحد وهو أكثر سور القرآن مثل: النساء، والأعراف، الأنعام، مريم، وغيرها.

---

١ ـ البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٥١.

ـ الثاني: ماله أكثر من إسم، و يشمل هذا النوع سوراً لها إسمان كسورة (محمد) صلى الله عليه وسلم حيث تسمى (القتال) وسورة (الجاثية) تسمى (الشريعة) وسورة (النحل) تسمى (النّعم) لما عدد الله فيها من النّعم على عباده(١).

و يشمل سورا لها ثلاثة أسماء مثل (المائدة) وتسمى (العقود) و(المنقدة) ومثل سورة غافر وتسمى (الطّول) و(المؤمن) (٢).

و يشمل سوراً لها أكثر من ثلاثة أسماء مثل سورة التوبة ومن اسمائها (برآءة) و (الفاضحة) و(الحافرة) وقال حذيفة هي سورة (العذاب) وقال ابن عمر كنا ندعوها (المُشقْشِقَة) وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى (المُبَعْثِرة) و يقال لها (المُسَورة) و يقال لها: (البَحُوث)(٣).

وكسورة الفاتحة فقد ذكر السيوطي لها خمسة وعشرين إسما منها (أُمُّ الكتاب) (أُمُّ القرآن) و(السبع المثاني) و(الصلاة) و(الحمد) و(الوافية) و(الكنز) و(الشافية) و(الشفاء) و(الكافية) و(الأساس)(٢).

ـ الثالث: أن تُسمَّى عدة سورٍ باسمٍ واحدٍ:

ومن ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ (الزهراوين) وتسمية سورتي الفلق والناس بـ(المعوذتين) وتسمية السور المبدوءة بـ (حم) بـ (الحواميم).

---

١ ـ المرجع السابق، جـ ١ ص٢٦٩.

٢ ـ البرهان: الزركشي، جـ١ ص٢٥١.

٣ ـ الاتقان: السيوطي جـ١ ص٥٢ـ٥٣، وانظر البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٦٩ـ٢٧٠.

مصـــدر التسمية:

اختلف العلماء في مصدر أسماء سور القرآن الكريم

١ ــ قيل إنها إجتهادية واستبعد الزركشي ذلك(١).

٢ ــ قيل انها توقيفية وهو الراجح قال السيوطي: «وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار»(٢).

أقســـام الســـور:

تنقسم سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام:(٣)

ــ الأول: الطوال وهي سبع:

البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف في السابعة فقيل (الأنفال والتوبة) معا لأنهم كانوا يعدونهما سورة واحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل انَّ السابعة هي سورة يونس.

ــ الثاني: المئـــون:

وهي ما يلي السبع الطوال، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

ــ الثالث: المثـــاني:

وهي ما يلي المئين وسميت بذلك لأنها تُثَنَّى في الصلاة وتُكَرَّر أكثر من الطوال والمئين.

---

١ ــ البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٧٠.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ١ ص٥٢.

٣ ــ انظر البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٤٤ــ٢٤٨ والاتقان: السيوطي جـ١ ص٦٣ــ٦٤.

ـ الرابع: المُفصَّـــل:

وهو ما يلي المثاني من قصار السور إلى آخر القرآن وسُمِّي بالمُفصَّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وقيل لقلّة المنسوخ منه ولهذا يُسمى بالمُحْكَم أيضا، كما روى الامام احمد عن ابن عباس أنه قال: «إن الذي تدعونه المُفصَّل هو المُحْكَم» (١).

وقد اختلف العلماء في أوله فقيل من أول سورة (ق) وقيل من أول (الحجرات) وقيل من أول (القتال) وذكر الزركشي والسيوطي إثنى عشر قولا في ذلك (٢).

و ينقسم المفصل إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الطوال: من أوله إلى سورة (البروج).

ب ـ وأوساطه: من سورة (الطارق) إلى سورة (البينة).

جـ ـ وقصاره: من (الزلزلة) إلى آخر القرآن.

وفي سورة الفاتحة خلاف فقيل من أوله وقيل من المفصل(٣).

ترتيب الســـور:

للعلماء في ترتيب السور في القرآن الكريم ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّ ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن توقيفي وأنَّه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز شأنه كترتيب الآيات سواء بسواء.

---

١ ـ مسند الامام احمد جـ: ١ ص: ٢٥٣، وقال الاستاذ أحمد شاكر اسناده صحيح جـ: ٤ص: ٧٧.

٢ ـ البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٤٥ـ٢٤٦ والاتقان: للسيوطي جـ١ ص٦٣.

٣ ـ فتح الباري: ابن حجر جـ ٨ ص ٦٥٩.

قال أبو بكر الأنباري: «اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلُّه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدَّم سورةً أو أخرَها فقد أفسد نَظْمَ القرآن»(١).

وقال الكرماني في البرهان: «ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب»(٢). وقال الطيبي: «أُنزِلَ القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المُثبت في اللوح المحفوظ»(٣).

وقال أبو جعفر النحاس: «إنَّ تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٤).

وقال ابن الحَصَّار: «ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنَّما كان بالوحي»(٥).

وغير هؤلاء من العلماء ومن أدلَّتهم:

١ ــ إجماع الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ على ترتيب السور في مصحف عثمان رضي الله عنه ولو كان ترتيبه بالاجتهاد لتمَسَّكَ أصحابُ المصاحف المُخالفة في الترتيب بمصاحفهم.

---

١ ــ الاتقان: السيوطي: جـ:١ ص ٦٢.

٢ ــ البرهان: الزركشي، جـ: ١ ص: ٢٥٩، والاتقان للسيوطي جـ: ١ ص: ٦٢.

٣ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ١ ص: ٦٢.

٤ ــ المرجع السابق، جـ: ١ ص: ٦٢.

٥ ــ المرجع السابق، جـ: ١ ص: ٦٣.

٢ ــ قال ابن حجر العسقلاني ــ رحمه الله تعالى ــ «ومما يدل على أنَّ ترتيب المصحف كان توقيفيا ما أخرجه احمد وأبو داود وغيرهما عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي قال: كنتُ في الوفد الذين أسلموا من ثقيف.. وفيه.. فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا: كيف تُحزِّبُون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى نختم «ثم قال ابن حجر: «فهذا يدل على أنَّ ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم»(١).

وإذا جمعت أعداد السور المذكورة هكذا ٣ + ٥ + ٧ + ٩ + ١١ + ١٣ كان المجموع ٤٨ سورة قال الزركشي «وحينئذ فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة(ق)»(٢). وهذا يدل على أنَّ السور كانت مرتبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ ــ قال السيوطي رحمه الله تعالى: «ومما يدل على أنَّه توقيفي كونُ الحواميم رُتِّبت وَلاءً (يعني متوالية) وكذا الطواسين، ولم تُرتَّب المُسَبِّحات ولاءً، بل فُصِلَ بين سورها وفُصلَ بين (طسم) الشعراء و(طسم) القصص بـ(طس) مع انها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذُكرت المُسبحات ولاءً، وأُخِّرت (طس) عن القصص»(٣).

---

١ ــ فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، جـ: ٩ص: ٤٢ــ٤٣.

٢ ــ البرهان: الزركشي جـ ١ ص ٢٤٧. قلت: هذا إذا لم نعد الفاتحة، أما إذا عددناها فإن التي بعدهن سورة (الحجرات) ولهذا مع الاختلاف في أول المفصل، ومن لم يعد الفاتحة من الطوال فقد عدها من المفصل.

٣ ــ الاتقان: السيوطي، جـ١ ص٦٣.

القول الثاني: أنَّ ترتيب السور اجتهادي من فعل الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا قول جمهور العلما، قال ابن فارس: جَمْعُ القرآن على ضربين:

أحدهما: تأليفُ السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولَّته الصحابة وأمَّا الجمعُ الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توفيقي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه(١). ومما استدلوا به على ذلك:

١ ــ اختلاف ترتيب السور في مصاحف الصحابة قبل أن يجمع القرآن فلو كان توقيفيا لا تفقت مصاحفهم كما اتفقت في ترتيب الآيات، فقد كان مصحف عَليٍّ مُرتَّباً على النزول وأول مصحف ابن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ومصحف أبيٍّ الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

٢ ــ ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى بالبقرة، ثم النساء، ثم بآل عمران في ركعة(٢). قال عياض: هو دليل لكون ترتيب السور وقَعَ باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف(٣).

---

١ ــ الاتقان: السيوطي، جـ ١ ص ٦٢.

٢ ــ صحيح مسلم، جـ: ١ص: ٥٣٦ــ٥٣٧.

٣ ــ اجمال البيان: عبد الله بن أحمد، ص: ١٢٨.

القول الثالث: أنَّ ترتيب بعض السور كان توقيفياً وبعضها كان باجتهاد الصحابة:

قال الزركشي مالَ ابنُ عطية إلى أنَّ كثيراً من السور كان قد عُلِمَ ترتيبُها في حياته صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال والحواميم والمفصل وأنَّ ما سوى ذلك يمكن أنْ يكون قد فوَّض الأمر فيه إلى الأمة بعده، وقال ابو جعفر بن الزبير الآثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطية و يبقى منها قليل يُمكن أنْ يجري فيه الخلاف(١).

مناقشة الادلة:

١ــ استدل القائلون بالتوقيف في ترتيب السور بإجماع الصحابة على ترتيب عثمان رضي الله عنه، وهذا لا يدلّ على ما ذهبوا اليه لأن إجماعهم على ترتيب عثمان لا يشترط له أنْ يستند إلى التوقيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وافقوا عثمان على هذا الترتيب توحيداً لكلمة الأمة وقطعا لأسباب الإختلاف كما وافقوا على الإقتصار على حرف واحد.

اما استدلالهم بحديث حذيفة فإنَّ ذكر العدد لا يلزم منه ترتيب السور، بل قال ابن حجر نفسه الذي استدل بهذا الحديث «ويحتمل أنَّ الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه»(٢).

وأما استدلال السيوطي فإنَّ ما أورده لا يلزم منه أنَّ ترتيب السور توقيفي فعدم ترتيب المُسَّبحات ولاء قد يكون لمراعاة مناسبات أخرى أهم من مناسبة فواتح السور، ولهذا مال السيوطي نفسه الى رأي آخر.

---

١ ــ البرهان: الزركشي، جـ١ ص: ٢٥٧ــ٢٥٨، وانظر الاتقان: السيوطي جـ: ١ ص٦٢.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ١ ص ٦٣.

٢ ــ وأما القائلون بأن الترتيب كان كله بطريق الاجتهاد فإنَّ من أدلتهم اختلاف ترتيب السور في مصاحف الصحابة ولا يصلح هذا دليلاً على ما ذهبوا إليه فقد يكون ترتيب الصحابة قبل أنْ يعلموا بالتوقيف فلما بلغهم ذلك رجعوا عن ترتيب مصاحفهم.

واما استدلالهم بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد صَلَّى بالبقرة والنساء وآل عمران في ركعة فلا يدل على ما ذهبوا إليه كما قال السيوطي، وعَلَّلَ ذلك بقوله: «لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز»(١).

٣ ــ وأما الرأي الثالث فإنه يستند إلى أدلة الرأي الأ ول وهو أنَّ ترتيب السور توقيفي أمَّا القسم الاجتهادي فإنَّ أدلته ضعيفة لا تستند إلى دليل قوى.

الرأي الرجح:

إنَّ استعراض الأدلة يوقفنا على ثبوت التوقيف في ترتيب أكثر سور القرآن الكريم وما لَمْ يَرِدْ دليل على ترتيبه لا يعني أنَّه رُتِّبَ بطريق الاجتهاد، فقد يكون ترتيبه بدليل لم يصل إلينا.

وعلى هذا فإنَّ الرأي الراجح أنَّ ترتيب سور القرآن الكريم كترتيب آياته بالتوقيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى مع ما في أدِلَّة هذا الرأي من الاحتمال كما ذُكِرَ إلاّ أنه أقوى الآراء.

---

١ ــ المرجع السابق، جـ: ١ ص ٦٣.

الموقف من هذا الترتيب:

وعلى كل حال ومهما يكن من أمر سواء أكان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أو بطريق الاجتهاد ثم أجمع الصحابة عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسك به والإعراض عن الدعوات الزائفة لإعادة ترتيب المصاحف حسب النزول أو الموضوع أو غير ذلك لأنَّ في ترتيب سوره معاني لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جَدَّ كثير من العلماء في استنباطها وتحصيلها. فضلاً عن مخالفة الإجماع وما في ذلك من مفاسد عظيمة.

أمَّا ترتيب السور في التلاوة فليس بواجب وإنما هو مندوب إلا في تعليم الصبيان فالأ ولى أن يبدأ بهم من آخر المصحف إلى أوله، والله أعلم.

حكمة تسوير القرآن:

لتقسيم القرآن الكريم إلى سورٍ حِكَمٌ عديدة منها:

١ ــ التيسير والتشويق لمدارسة القرآن الكريم وحفظه إذ لو كان سبيكة واحدة لشقَّ حفظه وصعبت مدارسته.

٢ ــ الدِّلالة على موضوع السورة وأهدافها إذ أن لكل سورة موضوعاً خاصاً، وأهدافاً معينة، فسورة يوسف تُترجم لقصته، وكذا سورة مريم، وسورة التوبة تتحدث عن المنافقين وتكشف أسرارهم.. وهكذا.

٣ ــ التنبيه إلى أن الطول ليس شرطاً من شروط الإعجاز والتحدِّي، فسورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة.

٤ ــ التدرج في تعليم الأطفال من السور القصار إلى السور الطِّوال تيسيراً من الله لعباده لحفظ كتابه.

٥ ــ أنَّ الكتاب إذا انطوت تحته أنواع وأصناف وأبواب وفصولٌ كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً.

٦ ــ أنَّ القارىء إذا ختم سورة أو جزءا كان أنشط له وأبعث على التحصيل والاستمرار في التلاوة منه لو استمر على الكتاب بطوله، كالمسافر إذا قطع ميلاً نفَّسَ ذلك عنه وتجدد نشاطه ولذا جُزِّىء القرآن أجزاءاً وأحزاباً وأر باعاً وأخماساً وأعشاراً.

٧ ــ أنَّ الحافظ إذا حذق سورة اعتقد أنَّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ويحرص على معاهدته وتكرار تلاوته ومنه حديث أنس رضي الله عنه «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا»(١).

٨ ــ أنَّ التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض و بذلك تتلاحظ المعاني و يتجاوب النظم(٢).

---

١ ــ مسند الامام أحمد جـ: ٣ص: ١٢٠ــ١٢١، وشرح السنة: البغوي جـ: ١٣ ص: ٣٠٦.

٢ ــ تفسير الكشاف: الزمخشري جـ: ١ص: ٢٤١، وقال الجرجرناي في حاشيته على الكشاف: «وكون التفصيل سبب تلاحق الأشكال من حيث انه يورد في كل منها الأمور المتلائمة فتتلاحظ حينئذ المعاني و يتجاوب أطراف النظم وجوانبه» الكشف جـ: ١ص: ٢٤١.

ثانيا: آيات القرآن الكريم:

تعريف الآيــة:

الآية في اللغة تطلق على عدة معان منها:

١ ــ المعجزة: ومنه قوله تعالى «سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ»(١).

٢ ــ العلامــة: ومنه قوله تعالى «إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ»(٢).

٣ ــ العبــره: ومنه قوله تعالى «إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»(٣).

٤ ــ البرهان والدليل: ومنه قوله تعالى «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ»(٤).

٥ ــ الأمر العجب، تقول العرب (فلان آية في العلم وفي الجمال).

٦ ــ الجماعة تقول العرب (خرج القوم بآيتهم) اي بجماعتهم(٥).

والآية في الاصطلاح:

طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

لأن الآيـة القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها اليها وهي علامة على صدق من جاء بهـا وفيـها عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر وهي دليل

---

١ ــ سورة البقرة. من الآية: ٢١١.

٢ ــ سورة البقرة. من الآية: ٢٤٨.

٣ ــ سورة البقرة. من الآية: ٢٤٨.

٤ ــ سورة الروم. من الآية: ٢٢.

٥ ــ البرهان للزركشي جـ: ١ص: ٢٦٦.

وبرهان على أنَّ هذا القرآن من الله تعالى، وهي من الأمور العجيبة لسموها وبلاغتها وإعجازها وهي جماعة من الحروف، فمعانيها في اللغة موجودة في معناها الاصطلاحي(١).

إطلاق الآية:

تطلق الآية و يراد بها:

١ ــ الآية ومثاله قول ابن مسعود رضي الله عنه: أعظم آية في القرآن: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ»(٢)

٢ ــ وقد يطلق لفظ الآية على ما هو أكثر منها كقول ابن مسعود رضي الله عنه أخوف آية في القرآن: «فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ»(٣)(٤) فإنهما آيتان باتفاق(٥).

عدد آيات القرآن الكريم:

أجمع العلماء على أنَّ عدد آيات القرآن ستة الاف آية ومائتا آية ثم اختلفوا في الزيادة:

ــ فمنهم من لم يزد على ذلك.

ــ ومنهم من قال: ومائتا اية وأر بع آيات.

ــ ومنهم من قال: وأر بع عشرة آية.

---

١ ــ انظر مناهل العرفان، الزرقاني، جـ١ ص ٣٣١ــ٣٣٢.

٢ ــ سورة البقرة. من الآية: ٢٥٤.

٣ ــ الدر المنثور: السيوطي جـ: ١ص: ٣٢٣.

٤ ــ سورة الزلزلة: الآيتان: ٧ و٨.

٥ ــ الدر المنثور: السيوطي، جـ: ١ص: ٣٢٣.

٦ ــ انظر مناهل العرفان، الزرقاني جـ: ١ص٣٣٥ــ٣٣٦.

ـ ومنهم من قال: وسبع عشرة آية.
ـ ومنهم من قال: وتسع عشرة آية.
ـ ومنهم من قال: وعشرون آية.
ـ ومنهم من قال: وست وثلاثون آية.
وغير ذلك.

سبب الاختلاف وأثره:

سببه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤس الآي للتوقيف ليعلم أصحابه أنَّها رأس آية، حتى إذا علموا ذلك صار يصل الآية بما بعدها لتمام المعنى فيحسب من لم يسمعه أولاً أنها ليست فاصلة فيعتبر الآيتين آية واحدة، ولذا يختلف العدد.

وليس لهذا أثر يُذكر مادام القرآن الكريم سالماً من الزيادة أو النقصان فالقطعة من القماش إذا قاسها إنسان بذراعه الطويلة ثم قاسها إنسان آخر بذراعه القصيرة فسيكون هناك اختلاف في العدد،سببه اختلاف المقياس مع سلامة القطعة من الزيادة أو النقصان في الحالتين.

ترتيب الآيات في القرآن الكريم:

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى «الإجماع والنصوص المترادفة على أنَّ ترتيب الآيات توقيفي لاشبهة في ذلك، أمَّا الإجماع فَنَقَلَه غير واحد منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين»(١)، ثم ذكر عدداً من النصوص والآثار

---

١ ـ الاتقان: السيوطي، جـ ١ ص: ٦٠.

الشاهده على ذلك.

فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم و يُخبره بموضعها من السورة، ثم يقرؤها الرسول عليه الصلاة والسلام على أصحابه و يأمر كتاب الوحي بكتابتها بعد أن يبين لهم موضعها من السورة.

وكان عليه الصلاة والسلام يتلوآيات القرآن الكريم مرتبة في الصلوات المفروضة والنافلة، وفي مواعظه فيسمعها اصحابه ويحفظونها كما سمعوها، وكانوا يَعْرِضُون على الرسول صلى الله عليه وسلم ما كتبوه على الترتيب المعروف وشاع ذلك وملأ البقاع، والأمة يتدارسونه فيما بينهم و يقرؤنه في صلواتهم، و يأخذه بعضهم عن بعض بالترتيب القائم الآن، فليس لأحد من الصحابة يَدٌ في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم(١).

وقد نقل السيوطي عدداً من نصوص العلماء في ذلك منها قول مَكيٍّ وغيره ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وقال القاضي أبو بكر في الإنتصار: «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنَّما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»(٢).

---

١ ــ انظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ص ٣٣٩ــ٣٤٠.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ص٦١ــ٦٢.

طريق معرفة بداية الآية ونهايتها:

للعلماء في طريق معرفة بداية الآية ونهايتها قولان:

القــول الأ ول:

أنّه لا سبيل إلى معرفة بدايات الآيات ونهاياتها إلا بتوقيف من الشارع لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيه وإنّما هو محض تعليم وإرشاد من الرسول صلى الله عليه وسلم واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ ــ واستدلوا بالنصوص الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتحديد عدد الآيات في بعض السور أو تحديد مواضعها كقوله عليه الصلاة والسلام عن الفاتحة **(هي السبع المثاني)**(١) وقوله صلى الله عليه وسلم **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**(٢).

٢ ــ انَّ العلماء(٣) عدوا (الٓم) آية ولم يعدوا نظيرها (الٓ) آية وعدوا (المٓص) آية ولم يعدوا نظيرها وهو (الٓمر) آية، وعدوا (يٰس) آية ولم يعدوا نظيرها (طٰس) آية، وعدوا (حٰمٓ عسق) آيتين، ولم يعدوا نظيرها (كٓهيٰعٓص) آيتين، بل آية واحدة، فلو كان الأمر مبنياً على القياس لم يفرقوا بين المثلين.

وقوله صلى الله عليه وسلم **«تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء»**(٤). وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، مما يدلّ على أنه لولا أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى بيَّن الآيات من حيث بداياتها

---

١ ــ رواه البخاري جـ: ٦ ص ١٠٣.

٢ ــ رواه البخاري جـ: ٦ص ١٠٤ ومسلم جـ: ١ ص ٥٥٥.

٣ ــ وهم الكوفيون فقد عدّوا كُلَّ الفواتح بالأحرف المقطعة في أوائل السور آيات إلا (حٰم عسق) فقد عدّوها آيتين و(طس) و(الٓ) و(الٓمر) وما كان مفرداً وهي (ق) و(ن) و(ص).

٤ ــ مسند الامام أحمد جـ: ١ ص: ٢٦.

ونهاياتها لما عرفنا بداية الآيتين في آخر سورة البقرة مثلا، ولا آية الصيف ولا الآيات السبع في الفاتحة.

القول الثاني:

وقيل أنَّ معرفة بداية الآيات ونهاياتها منه ما هو سماعي ومنه ما هو قياسي ومرجع ذلك إلى الفاصلة للآية.

فما ثبت أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنَّه رأس آية وما وصله دائماً علمنا أنه ليس بآية وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الأمرين وهذا مجال للقياس ولا محظور فيه لأنه لا يُؤدِّي إلى زيادة ولا نقصان في آيات القرآن وإنَّما غايته تعيين محَلَّ الفصل أو الوصل(١).

والرأى الراجح: أنَّ معرفة بداية الآيات ونهاياتها توقيفي لا مجال للقياس فيه قال الزركشي «قال بعضهم: الصحيح أنَّها إنَّما تُعلَمُ بتوقيف من الشارع لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة»(٢) وقال الزمخشري: «علم الآيات توقيفي لا مجال للقياس فيه»(٣).

فوائد معرفة الآيات:

ذكر العلماء لتقسيم السورة إلى آيات حِكَمَاً عديدة منها:

١ ــ العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وفي حُكمها الآية الطويلة وبيان ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى تحدَّى الناس

---

١ ــ انظر البرهان للزركشي جـ: ١ ص: ٢٦٧ــ٢٦٨، وانظر مناهل العرفان للزرقاني، جـ: ١ص: ٣٣٣ــ٣٣٥.

٢ ــ البرهان للزركشي جـ١ ص٢٦٧.

٣ ــ الكشاف: الزمخشري، جـ١ ص: ١٨.

أن يأتوا بسورة من مثل القرآن وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار فدَلَّ على أنَّ كل ثلاث آيات قصار معجزة.

٢ ــ يرى بعض العلماء أنَّ الوقف على رأس الآية سُنة، وتحديد رأس الآية معين على اتباع السُّنة.

٣ ــ هناك بعض الأحكام الفقهية المترتبة على معرفة الآي، ذكرها السيوطي(١) رحمه الله تعالى ــ ومنها:

أ ــ اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات عند الشافعي.

ب ــ اعتبارها في خطبة الجمعة، فإنَّه يجب فيها قراءة آية كاملة من القرآن ولا يكفي شطرها إلا أن تكون طويلة

ج ــ اعتبارها في طول الصلاة فقد ورد أنَّه صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة آية، وكذا اتخاذها مقياساً زمنياً للفارق بين الأذان والإقامة.

د ــ اعتبارها في قراءة قيام الليل وعدد الآيات للقيام.

فوائد:

إعلم أنَّ العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا في عدد آيات القرآن الكريم وعدد كلماته وعدد حروفه، وسبب ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلِمَ محلُّها وصَلَ للتمام فيحسب السامع أنَّها ليست فاصلة.

---

١ ــ الإتقان: السيوطي جـ١ ص٦٩، وانظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ١ ص٣٣٧ــ٣٣٩.

وسببُ الإختلاف في عدد الحروف أنَّ بعضَ العلماء يعدُّ البسملة آية في أوَّل كل سورة و بعضهم لا يعدها وأحرف المَدِّ ونحوها منهم من يعدها ومنهم من لا يعدها.

وسبب الاختلاف في عدد كلمات القرآن أنَّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبارُ كُلٍّ منها جائز، وكلُّ من العلماء اعتبر أحدَ الجوائز(١).

وأطول سورة في القرآن الكريم هي البقرة، وأقصر سورة هي الكوثر، وهي ثلاث آيات.

وأطول آية: آية الدَّين وهي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وأقصر آية (والضحى) و(والفجر).

وأطولُ كلمة فيه لفظا وكتابة (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)(٢).

أمَّا أنصافُ القرآن فثمانية:

ـ فنصفه بالحروف (النون) من قوله (نُكُرًا)(٣) في سورة الكهف والكاف من نصفه الثاني، وقيل عين (تَسْتَطِيعَ)(٤) وقيل اللام الثانية من (وَلْيَتَلَطَّفْ)(٥).

---

١ ـ البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٥٢.
٢ ـ سورة الحجر الآية: ٢٢.
٣ ـ سورة الكهف الآية: ٧٤.
٤ ـ سورة الكهف الآية: ٦٧.
٥ ـ سورة الكهف الآية: ١٩.

ـ ونصفه بالكلمات الدال من قوله (وَٱلْجُلُودُ)[1] في سورة الحج وقوله تعالى «وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ»[2] من نصفه الثاني.

ـ ونصفه بالآيات (يَأْفِكُونَ)[3] من سورة الشعراء وقوله تعالى (فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ)[4] من نصفه الثاني.

ـ ونصفه على عدد السور، فالأول (الحديد) والثاني من (المجادلة)[5]

أكثر ما اجتمع في القرآن من الحروف المتحركة متوالية ثمانية أحرف في سورة يوسف «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا» من الآية الرابعة.

وفي القرآن آية واحدة تجمع حُروف المُعْجَم هي قوله تعالى: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ»، الآية ٢٩ من سورة الفتح.

وفي القرآن سورة في كل آية منها اسم الله تعالى هي سورة المجادلة.

وفي القرآن آية فيها ١٦ ميما هي (قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ..) الآية ٤٨ هود. وفي آية الدَّين ٣٣ ميما.

وليس في القرآن حاء بعدها حاء إلا في موضعين:

ـ الأول في البقرة (٢٣٥) (عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ).

ـ والثاني في الكهف (٦٠) (لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ).

---

١ ـ سورة الحج الآية: ٢٠.

٢ ـ سورة الحج الآية: ٢١.

٣ ـ سورة الشعراء الآية: ٤٥.

٤ ـ سورة الشعراء الآية: ٤٦.

٥ ـ البرهان: الزركشي جـ١ ص٢٥٣.

وليس فيه كاف بعدها كاف في كلمة واحدة إلا في موضعين:

ـ البقرة (٢٠٠) (مَنَاسِكَكُمْ).

ـ وفي المدثر (٤٢) (مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ).

وعدد كلمات القرآن الكريم ٧٧٤٣٩ كلمة وقيل ٧٧٤٣٧ وقيل ٧٧٢٧٧ وقيل غير ذلك.

وعدد حروفه ٣٢٣٠١٥ حرفاً وقيل ٣٢١٠٠٠ وقيل ٣٤٠٧٤٠ حرفا.

قال السيوطي والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته (١).

(قلت): فيه رياضة للنفس وترويح للذهن في أطهر ميدان، والله أعلم.

---

١ ـ الاتقان: السيوطي جـ١ ص٧٠، وقد نقلت اغلب هذه الفوائد من البرهان: للزركشي جـ١ ص٢٤٩، الى ص٢٥٦.

المكـــي والمدنـــي

مـن المعـلـوم ان الـرسـول صلى الله عليه وسلم قضى فترة من حياته في مـكـة قبل البعثة و بعدها، ثم هاجر الى المدينة النبو ية وأقام فيها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

وقـد نـزل عـلـيـه الـقرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأ وديـة والـسفوح والدور والبراري، وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب.

وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في مـعـرفـة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولا تها.

وعـندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها.

فـالـقـرآن في مـكـة يـدافع عن القلة من المسلمين و يرفق بهم و ينافح عـنـهـم وسـط هـذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم و يثبت قلوبهم.

والـقـرآن في مـكـة يـقـارع الخـصـوم ويحـطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والـدلـيـل و يـدفـع الـشـبـهـات، و يبطل الخرافات، و يكشف الأ باطيل والـتـرهـات، وهـم أهـل لجـاج وعـنـاد، وإصرار واسـتـكبار وظلّ القرآن يـنـافـحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأ جماعة اسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية.

وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين في المدينة وآخى بين الجماعتين ومزج بينهما مزجاً كان نتاجُه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة والمؤهَّلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع.

ونزل القرآن على المسلمين في المدينة يبسطُ أحكامَ الدين، و يُرسي قواعده و يبني المجتمع الاسلاميَّ و يؤسسُ صرحَ الدولة.

و بلا ريب أنَّ معرفة ما نزل بمكة في تلك الظروف ولتلك الأهداف والأغراض ومعرفة ما نزل في المدينة كذلك يُعطي منهجاً سليماً للدعوة الإسلامية ودروساً للدعاة في مختلف العصور والأمكنة.

عناية العلماء بالمكي والمدني:

فلا عَجَبَ إذاً أن يعتنى العلماء بذلك وأن يُلوه اهتمامهم، فهذا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «والله ما نزلت آية الا وقد علمتُ فيم أنزلت، وأين أنزلت إنَّ ربِّي وهبَ لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً(١).

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «والله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله الا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلمُ منِّي بكتاب الله تبلغه الابل لركبت إليه»(٢).

وقد اهتم العلماء منْ بعدهم بمعرفة المكي والمدني وأفرده جماعة بالتأليف منهم كما يقول السيوطي مكيٌّ، والعزُّ الدرينى(٣).

---

١ ــ حلية الأولياء، لأبي نعيم جـ: ١ص: ٦٧ــ٦٨.

٢ ــ صحيح البخاري جـ: ٦ص: ١٠٢، وصحيح مسلم جـ: ٤ص: ١٩١٣.

٣ ــ الاتقان: السيوطي، جـ١ ص٨.

كما اعتنى به العلماء في مؤلفاتهم فلا تكاد تجد كتابا يتناول علوم القرآن إلا وكان المكي والمدني أحد أبوابه وفَصَّلَ القولَ فيه السيوطي وأشبع الكلام على أوجهه وأفرد بعضها بمباحث خاصة في كتابه الإتقان(١).

أنواع المكي والمدني:

وهي كثيرة منها:

ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، وما اختلف فيه، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلا، وما نزل نهارا، وما نزل صيفا وما نزل شتاء، وما نزل في الحضر، وما نزل في السفر، وما نزل مشيعا، وما نزل مفردا، والايات المدنية في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة(٢).

السور المكية والسور المدنية:

اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وقد نقل السيوطي عن ابن الحَصَّار انَّ المدنيَّ عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي(٣).

---

١ ــ المرجع السابق.

٢ ــ انظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ١ ص١٩٢.

٣ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص١١.

السور المدنية : عشرون هي:

١ ــ البقرة	٢ ــ آل عمران	٣ ــ النساء	٤ ــ المائدة
٥ ــ الأنفال	٦ ــ التوبة	٧ ــ النور	٨ ــ الأحزاب
٩ ــ محمد	١٠ ــ الفتح	١١ ــ الحجرات	١٢ ــ الحديد
١٣ ــ المجادلة	١٤ ــ الحشر	١٥ ــ الممتحنة	١٦ ــ الجمعة
١٧ ــ المنافقون	١٨ ــ الطلاق	١٩ ــ التحريم	٢٠ ــ النصر

واختلفوا في اثنتي عشرة سورة هي:

١ ــ الفاتحة	٢ ــ الرعد	٣ ــ الرحمن	٤ ــ الصف
٥ ــ التغابن	٦ ــ التطفيف	٧ ــ القدر	٨ ــ البينة
٩ ــ الزلزلة	١٠ ــ الاخلاص	١١ ــ الفلق	١٢ ــ الناس

السور المكية:

ما عدا السور المذكورة فهو مكي وعددها اثنتان وثمانون سورة.

طريق معرفة المكي والمدني:

يُعرفُ المكيّ والمدنيّ بأحد طريقين:

الطريق الأول: النقليّ السماعيّ:

وهي الآيات والسور التى عرفنا أنها مكية أو مدنية بطريق الرواية عن أحد الصحابة الذين عاشوا فترة الوحي وشاهدوا التنزيل، أو عن احد التابعين الذين سمعوا ذلك من الصحابة.

أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يَرِدْ عنه بيان للسور المكية والسور المدنية لأنَّ هذا مما يشاهده ويحضره الصحابةُ رضي الله عنهم فكيف يخبرهم عن شيء يعلمونه! فالمكي والمدني يُعرفُ بغير نصّ من الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الباقلاني: «إنما يُرجعُ في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يَرِدْ عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول، لأنه لم يُؤمر به ولم يَجعل الله علمَ ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على اهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص من الرسول»(١).

ومن أمثلة ما عرف أنه مكي أو مدني عن طريق الصحابة رضى الله عنهم قوله تعالى «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ»(٢).

فقد أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت لمَّا أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن المعلوم أن عمر قد أسلم في مكة فالآية إذاً مكية، وسورة الحج روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها مكية(٣).

الطريق الثاني: القياسي الاجتهادي:

نظر العلماء رحمهم الله تعالى في الآيات والسور التى عرفوا أنها مكية أو مدنية بالطريق الأ ول (السماعي النقلي) واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية، وخصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي

---

١ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص٩.

٢ ــ سورة الانفال: الآية: ٦٤.

٣ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص١٣.

لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية قالوا انها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية قالوا انها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس فسُمِّيَ هذا الطريق بالقياسي الاجتهادي.

نقل الزركشي عن الجعبري قوله «لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي.. كل سورة فيها يأيها الناس فقط، أو كلا، أو أوَّلُها حرف تهَجٍّ سوى الزهراوين، والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الانبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية»[1].

تعريف المكي والمدني:

اختلف العلماء في المراد بالمكي والمدني ومتى تُسمى السورة أو الآية مكية أو مدنية إلى ثلاثة اقوال:

و يرجع اختلافهم إلى المعتبر في النزول، فمنهم من اعتبر مكان النزول، ومنهم من اعتبر زمن النزول، ومنهم من اعتبر المخاطبين بالآيات أو السورة، وعلى هذا:

القول الأول: لطائفة اعتبرت مكان النزول فقالت ما نزل في مكة وما حولها ولو بعد الهجرة، فهو مكي، وما نزل في المدينة وما حولها، فهو مدني.

---

١ ــ البرهان: الزركشي جـ ١ ص١٨٩، وانظر الاتقان، السيوطي جـ ١ ص١٧.

وهذا القول غير ضابط ولا حاصر إذ أنه لا يشمل ما نزل من الآيات في غير مكة والمدينة وما حولهما، فقد نزلت آيات قرآنية في تبوك وفي بيت المقدس وفي الطائف، فالتعريف غير ضابط.

والقول الثاني: لطائفة اعتبرت المخاطب بالآية أو السورة وهذه الطائفة نظرت إلى أهل مكة وقت التنزيل، فوجدت أنَّ الغالب على أهلها الكفر والمناسب لمخاطبتهم النداء «بيأيها الناس» أو «يابني آدم»، وبما أنَّ الغالب على أهل المدينة هو الإيمان، فإنَّ المناسب نداؤهم بيأيها الذين آمنوا، وعلى هذا فالمكي عندهم ما كان فيه «يأيها الناس» أو «يابني آدم»، والمدني ما كان فيه «يأيها الذين آمنوا» نقل السيوطي عن أبي عبيد في الفضائل عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن «يأيها الناس» أو«يابني آدم» فإنَّه مكي وما كان «يأيها الذين آمنوا» فإنَّه مدني.

وهذا القول أيضا غير ضابط ولا حاصر من وجهين:

الأول: ضعَّف هذا القول ابنُ الحصار فقال: «اتفق الناس على أنَّ «النساء» مدنية وأولها «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ» وعلى أنَّ «الحج» مكية وفيها «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ»(١) وقال غيره هذا القول إنْ أخذ على إطلاقه فيه نظر. فإنَّ سورة البقرة مدنية وفيها «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ»(٢) «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ»(٣) وسورة النساء مدنية وأولها «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ»(٤). وبهذا يكون هذا القول غير ضابط وغير مُطَّرد.

---

١ ــ سورة الحج: الآية: ٧٧.
٢ ــ سورة البقرة: الآية: ٢١.
٣ ــ سورة البقرة: الآية: ١٦٨.
٤ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص١٧.

الثاني: أنَّ هناك آيات كثيرة وسور عديدة ليس فيها نداء بيأيها الناس ولا يأيها الذين آمنوا، وهذا القول لا يشملها فلا يكون ضابطاً ولا حاصراً.

القول الثالث: لطائفة اعتبرت الزمان ورأت أنَّ الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة قالوا «وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي»(١).

وهذا التعريف ضابط وحاصر لا تخرج عنه آيه من آيات القرآن الكريم وعليه فإنَّ قوله تعالى «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا»(٢). مدنية مع أنها نزلت في عرفات بمكة، بل إنَّ قوله تعالى «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا»(٣). مدنية مع أنها نزلت في جوف الكعبة لأن هاتين الآيتين نزلتا بعد الهجرة عام الفتح.

ضوابط السور المكية:

نظر العلماء في السور المكية فوجدوا أنَّ لها ضوابط وأنَّ لها مميزات ونظروا في السور المدنية فوجدوا أيضا أنَّ لها ضوابط ومميزات.

ونعني بالضوابط خصائص الالفاظ، ونعني بالمميزات خصائص الأسلوب والمعاني والأغراض للسور المكية أو المدنية.

---

١ ــ البرهان: الزركشي جـ١ ص١٨٨.
٢ ــ سورة المائدة: الآية: ٣.
٣ ــ سورة النساء من الآية: ٥٨.

فمن ضوابط السور المكية:

١ ــ كل سورة فيها كلا فهي مكية.

ووردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن قال الشيخ الدريني(١) رحمه الله تعالى:

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تأتِ في القرآن في نصفه الأعلى

وحكمة ذلك أن كلا للردع والزجر وهذا إنَّما يكون للمعاند المستكبر فهو مناسب لمخاطبة المشركين في مكة.

٢ ــ كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية(٢). وهي أربع عشرة سورة هي الأعراف والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، وفي الحج سجدتان، والفرقان، والنمل، والسجدة، وفصلت، والنجم، والإنشقاق، واقرأ باسم ربك، وأما سورة ص فيستحب السجود، وليست من عزائم السجود وزاد بعضهم آخر الحجر(٣) وفي الرعد خلاف.

٣ ــ كل سورة مبدؤه بقسم وهي خمس عشرة سورة هي الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر.

٤ ــ كل سورة مفتتحة بأحرف التهجي مثل (الٓم) و(حٰم) وغيرها سوى البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف.

---

١ ــ البرهان للزركشي جـ: ١ص: ٣٦٩.

٢ ــ الاتقان: السيوطي جـ:١ ص: ١٧.

٣ ــ الاتقان: السيوطي جـ:١ ص: ١١٠.

٥ ــ كل سورة فيها يأيها الناس وليس فيها يأيها الذين آمنوا فهي مكية إلا سورة الحج فإنها مكية مع أنَّ في آخرها يأيها الذين آمنوا.

مميزات السور المكية:

من المعلوم أنَّ ما نزل من القرآن في مكة كان يُخاطب مجتمعاً وثنياً فشا فيه الشركُ، وانتشرت فيه الاصنام، ولم يتلق الدعوة الإسلامية بالقبول والتسليم، بل اخذ يُناؤها العداء، و يضطهد أتباعها، ويحارب رسولها.

وفي المدينة كان القرآن الكريم غالبا يخاطب أتباعه المؤمنين يأمرهم فينقادون إليه، و ينهاهم فينتهون عما نهى عنه.

وإذا كان الامر كذلك فلا شك أنَّ البلاغة تقتضي الإختلاف في الأسلوب والإختلاف في المعاني والموضوعات بين ما نزل في مكة، وما نزل في المدينة، فمن مميزات السور المكية:

١ ــ تأسيس العقيدة الاسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، و باليوم الآخر، وإبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله وإيراد الحجج والبراهين على ذلك.

٢ ــ تشريع أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة ففي مكة فرضت الصلوات الخمس مثلا وحُرِّمَ أكلُ مال اليتيم ظُلماً، كما حُرِّمَ الكِبرُ والخيلاء ونحوها.

٣ ــ الإهتمام بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة، و بيان ما دعا إليه الانبياء السابقين من عقائد، ومواقف أممهم منهم وما نزل بالمكذبين

من عذاب دنيوي جزاء تكذيبهم، وإيراد الحوار بين الأنبياء وخصومهم وإبطال حججهم بما يُوحي إلى أهل مكة بوجوب أخذ العبرة من هؤلاء، وفي هذا بسطٌ ايضا للعقيدة الاسلامية الصحيحة.

٤ ــ قِصَرُ السور والآيات مع قوة جرسِ الألفاظ ووقعها. وإيجازُ العبارة مع بلاغة المعنى ووفاءه، وذلك أن القوم في مكة كانوا معاندين مستكبرين لا يُريدون سماع القرآن، بل كانوا إذا شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في القراءة يتنادون «لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ»(١).

ولا يناسب هذا المقام طول الآيات والمقاطع، بل يناسبه إيجازها وقوة معانيها.

ضوابط السور المدنية:

١ ــ كل سورة فيها يأيها الذين آمنوا وليس فيها يأيها الناس فهي مدنية، قال السيوطي عن علقمة عن عبد الله (يعنى ابن مسعود رضي الله عنه) قال ما كان يأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان يأيها الناس فبمكة.. ثم قال: قال ابن عطية وابن الفرس وغيرهما هو في يأيها الذين آمنوا صحيح، وأما يأيها الناس فقد يأتي في المدنى»(٢).

٢ ــ كل سورة فيها ذكر للمنافقين قال مكي بنُ أبي طالب القيسي: «كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية وزاد غيره سوى العنكبوت»(٣)

---

١ ــ سورة فصلت: من الآية: ٢٦.

٢ ــ الاتقان: السيوطي جـ١ ص١٧.

٣ ــ المرجع السابق جـ:١ ص: ١٦.

والصحيح أنَّ أوَّل العنكبوت الذي ورد فيه ذكر المنافقين مدنيّ لِمَا أخرجه ابن جرير في سبب نزولها(١).

٣ ــ كل سورة ورد فيها حدٌّ أو بيان فريضة، قال عروة بن الزبير «ما كان من حدّ أو فريضة فإنَّه أنزل بالمدينة»(٢) وقال محمد بن السائب الكلبي «كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية»(٢).

مميزات السور المدنية:

١ ــ يخاطب القرآن في المدينة ــ غالبا ــ مجتمعاً إسلامياً فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض، وأحكام الجهاد وغيرها.

٢ ــ نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين فتحدث القرآن الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم، وبيَّنَ خطرهم على الإسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخباياهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين فكان الكفار يُحار بونهم جهارا.

٣ ــ عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود، وكانوا يمكرون مكراً سيئاً، ويكيدون للإسلام وأهله فكشف القرآن في المدينة سرائرهم وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبيَّن بُطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والدليل والبرهان.

---

١ ــ جامع البيان: الطبري جـ٢٠ ص٨٦.

٢ ــ البرهان: الزركشي جـ١ ص١٨٨ــ١٨٩.

٤ ــ الغالب على الآيات والسور المدنية طولُ المقاطع والسور لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية، فقد كان أهلُ المدينة مسلمين يُقبلون على سماع القرآن، و يُنصتون حتى كأنَّ على رؤسهم الطير، فالمقام ليس مقارعة ولجاج يُناسبه الإيجاز بل المقام مقام إقبال وإنصات وإذعان يُناسبه الإسترسال والإطناب.

فوائد معرفة المكي والمدني:

١ ــ تمييز الناسخ من المنسوخ فإنَّ المتأخر ناسخ للمتقدم.

٢ ــ الإستعانة به في تفسير القرآن الكريم، فانَّ معرفة مكان النزول يُعين على فهم المُراد بالآية، ومعرفة مدلولا تها وما يَرِدُ فيها من إشارات أحيانا.

٣ ــ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه في التكليف و يترتب على هذا الإيمان بأنَّ هذا التدرج لا يكون إلا من عليم خبير، عزيز حكيم، رحمن رحيم.

٤ ــ الإستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى فهو أسلوب يشتد و يلين و يُفصّل و يُجمِل، و يَعِدُ و يتوَعَّدُ، و يُرغِّبُ و يُرَهِّبُ، و يُوجز و يُطنِبُ حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم(١).

٥ ــ استخراج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمتابعة أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها واقتداء الدعاة بهذا المنهج النبوي الحكيم في الدعوة.

---

١ ــ انظر مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح ص٢٣٣.

وقد عنى بعض المؤرخين بهذا الجانب فوضعوا المؤلفات في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على ضوء القرآن الكريم(١).

٦ ــ بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حتى أنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني بل تتبعوا مكان نزوله ومعرفة ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالليل وما نزل بالنهار وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء و يَتْبَعُ هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه.

---

١ ــ منهم الدكتور/ عبد الصبور مرزوق في كتابه (السيرة النبوية في القرآن الكريم) ومنهم د. محمد علي الهاشمي في كتابه (شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم) والاستاذ/ حسن ضياء الدين عتر وكتابه (نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن) والاستاذ/ حسن الملطاوي في كتابه (رسول الله في القرآن الكريم). وغيرهم..

أسـباب النـزول

من المعلوم أنَّ سبب نزول آيات القرآن الكريم كلها هو هداية الناس إلى الحق والصراط المستقيم، لكن هناك آيات تزيد على هذا السبب العام بسبب خاص مرتبط بها وحدها دون غيرها وهذا السبب الخاص هو الذي يبحثه العلماء تحت هذا الموضوع. وعلى هذا فإنَّ آيات القرآن الكريم تنقسم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

ـ قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة وإنَّما هو مرتبط بالسبب العام وهو هداية الناس، وهذا القسم هو أكثر آيات القرآن الكريم.

ـ وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة يُسميه العلماء (سبب نزول الآية) وآيات هذا القسم هي الأقل ولأهميتها أفردها العلماء بالدراسة والبيان.

عناية العلماء بأسباب النزول:

اعتنى العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ عناية فائقة راسة أسباب النزول وتظهر عنايتهم في ثلاث صور:

الأولى: أنَّهم أفردوا أسباب النزول بباب مستقل من أبواب علوم القرآن الكريم في مؤلفاتهم.

الثانية: أنَّ المفسرين يُوردون أول ما يُوردون في تفسير الآية سبب نزولها ـ إن كان لها سبب نزول ـ و يعتنون بذلك و يستندون إليه في تفسير الآية.

الثالثة: أنَّ العلماء أفردوا أسباب النزول بمؤلفات مستقلة وهي مؤلفات عديدة، وأول من افرده بالتأليف علي بن المديني ت(٣٢٤هـ) وممن ألَّف فيه عبد الرحمن بن محمد المعروف بمطرف الأندلسي ت(٤٠٢هـ) فقد الف كتابه (القصص والاساليب التى نزل من اجلها القرآن). ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت (٤٦٨ هـ) واسم كتابه (أسباب النزول)، وطُبع مراراً وصدر أخيراً بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر وقد اختصر الجعبري هذا الكتاب بحذف أسانيده ومنهم ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ) واسم كتابه (أسباب نزول القرآن). ومنهم ابن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) واسم كتابه (العُجَابُ في بيان الأسباب) وقد ذكر السيوطي أنَّه اطلع على مسودة هذا الكتاب وأنَّ ابن حجر مات قبل أن يبيضه(١).

ومنهم السيوطي ت(٩١١هـ) الذي ألَّف كتاباً سماه (لباب النقول في أسباب النزول) وطبع في مجلد واحد.

ومن المؤلفات الحديثة كتاب «جامع النقول في أسباب النزول» وشرح آياتها للأستاذ ابن خليفه عليوي وهو في جزئين.

ومنها كتاب «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

١ــ الاتقان: السيوطي: جـ ١ ص٢٨. وقد ورد ذكر لهذه المخطوطة في فهارس احدى المكتبات وقد طلبت تصويرها وسأقوم بتحقيقها إن صحت نسبتها إن شاء الله تعالى.

تعريف سبب النزول:

هو «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه» كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية أو آيات من القرآن تبيِّن الحُكمَ فيها أو كسؤال يُوجَّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه.

و يُفيد قولنا «وقت وقوعه» أنَّه لابُدَّ أن يكون نزول الآيات وقت وقوع الحادثة أو توجيه السؤال فإن كانت الحادثة قبل نزول الآيات بزمن طو يل خرج ذلك عن هذا الباب وصار من باب الإخبار عن الوقائع الماضية والأمم السابقة كالآيات التى تتحدث عن خلق آدم عليه السلام، وقصته مع ابليس، وقصة إبنيّ آدم، وقصص الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، فإن الحديث عن ذلك ليس من هذا الباب.

ولا يلزم أن يكون نزول الآيات بعد الحادثة أو السؤال مباشرة، بل يصح أن يتأخر زمناً يسيراً فإن قوله تعالى «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا»(١) قد نزل بعد خمس عشرة ليلة من الحادثة وكذا الآيات المتعلقة بحادثة الإفك إنَّما نزلت بعد نحو شهر منها.

والحادثة التى ينزل القرآن لأجلها قد تكون من الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدث في سبب نزول سورة عبس حين جاء ابن أمِّ مكتوم

---

١ ــ سورة الكهف: الآية: ٢٣، ٢٤.

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهويُناجي بعض زعماء قريش و يدعوهم إلى الإسلام، فجاءه ابن أمّ مكتوم وقال: يارسول الله علّمني مما علّمك الله وجعل يناديه و يكرر النداء والرسول صلى الله عليه وسلم مشغول عنه ومقبل على هؤلاء النفر فنزلت سورة عبس. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأى ابن أمّ مكتوم بعد ذلك يقول «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»(١).

وقد تكون الحادثة من جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كأولئك الصحابة الذين كانوا يُصَافون المنافقين و يواصلون رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من القرابة والصداقة والحِلف والجوار والرضاع فأنزل الله تعالى «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ»(٢)(٣).

وقد تكون الحادثة من المشركين أو من اليهود أو من المنافقين والآمثلة على ذلك كثيرة.

كما أن السؤال قد يكون عن ماضٍ كقوله تعالى «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ»(٤)، أو عن حاضر كقوله تعالى «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ»(٥). وقوله سبحانه: «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ»(٦) او عن

---

١ ــ اسباب النزول: الواحدي: ص: ٢٩٧.
٢ ــ سورة آل عمران: الآية: ١١٨.
٣ ــ اسباب النزول: الواحدي: ص: ٧٩.
٤ ــ سورة الكهف من الآية: ٨٣.
٥ ــ سورة البقرة من الآية: ١٨٩.
٦ ــ سورة الاسراء من الآية: ٨٥.

مستقبل كقوله تعالى: «يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ»(١)
وقوله «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ»(٢).

طريق معرفة سبب النزول:

سبب النزول حادثة من أحداث التاريخ الواقعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فلا طريق لمعرفته إلا طريق الرواية الصحيحة عمن شاهده وحضره ولا يمكن الاجتهاد في معرفة ذلك، بل لا يجوز لأنه من القول في القرآن بغير علم قال تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»** رواه الترمذي. وقال هذا حديث حسن(٤).

وروى الواحدي عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: إتقِ الله، وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن(٥). وقال الواحدي: «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب»(٦).

واذا ورد سبب النزول عن صحابي فلا تَخْلُو عبارته: أن تكون جازمة وصريحة في السببية فلها حكم الحديث المرفوع. وإمَّا أن تكون

---

١ ــ سورة البقرة من الآية: ٢١٥.
٢ ــ سورة النازعات من الآية: ٤٢.
٣ ــ سورة الاسراء من الآية: ٣٦.
٤ ــ جامع الترمذي: جـ ٥ ص١٩٩.
٥ ــ اسباب النزول: الواحدي، ص٥.
٦ ــ المرجع السابق، ص٤.

العبارة غير صريحة كأن يقول: (نزلت هذه الآية في كذا) فإنَّها تحتمل أنَّ المراد بها سببُ النزول وتحتمل أنَّ هذا داخلٌ في الآية وإن لم يكن السبب، بل يرادُ بيانُ حُكم من الأحكام الواردة في الآية.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وقد تنازع العلماء في قول الصاحب: «نزلت هذه الآية في كذا» هل يجري مجرى المسند ــ كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يُدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسند، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند احمد وغيره، وبخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند»(١).

وإذا ورد سببُ النزول عن تابعي فيشترط لقبوله أربعة شروط:

١ ــ أن تكون عبارته صريحة في السببية: بأن يقول «سبب نزول هذه الآية كذا» أو أن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول حدث كذا وكذا أو سئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية أو فنزلت هذه الآية.

٢ ــ أن يكون الإسناد صحيح.

٣ ــ أن يكون التابعي من أئمة التفسير الذين أخذوه عن الصحابة.

٤ ــ أن يعتضد برواية تابعي آخر تتوافر فيه نفس الشروط وإذا اكتملت هذه الشروط في رواية تابعي قبلت وصار لها حُكمُ الحديث المرسل.

---

١ ــ مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور ص٤٨، وانظر الاتقان للسيوطي جـ١ ص٣١.

قال السيوطي رحمه الله تعالى عن سبب النزول إذا ورد عن تابعي أنه «قد يُقبل إذا صَحَّ المُسند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك»(١).

وبهذا ندرك الحيطة الشديدة التي اتخذها العلماء رحمهم الله تعالى لصيانة تفسير القرآن من الدخيل والتحريف والتبديل.

فوائد معرفة سبب النزول:

لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة من أهمها:

١ ــ معرفة حكمة التشريع. وأنّه قام على رعاية مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها وجلب الخير لها والرحمة بها وذلك كحادثة خوله بنت ثعلبة رضي الله عنها حين جاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها وهي تقول: يارسول الله أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. فنزل قوله تعالى: قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا »(٢) وهو أوس بن الصامت(٣). فشرع الله تعالى الكفارة رحمة بها و بأمثالها وصيانة للأسرة في المجتمع الاسلامي من التفكك وحماية للأ بناء من التشرد.

٢ ــ معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد بالآية وتفسيرها التفسير الصحيح ودفع اللبس والإشكال عن معناها قال الواحدي عن أسباب النزول «هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرَفُ العناية إليها

---

١ ــ الاتقان للسيوطي: جـ١ ص٣١.

٢ ــ سورة المجادلة: الآية الاولى.

٣ ــ لباب النقول في اسباب النزول: السيوطي ص: ٢٠٦.

لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها»(١). وقال ابو الفتح القشيري: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز»(٢). وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى: «ومعرفة سبب النزول يُعينُ على فهم الآية فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ولهذا كان أصح قولى الفقهاء، أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه وما هيجها وأثارها»(٣).

ومن الأمثلة على ذلك:

١ ــ قوله تعالى «وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ»(٤)

فظاهر هذه الآية يدل على أن للإنسان أن يصلي إلى أية جهة شاء ولا يجب عليه استقبال القبلة لا في سفر ولا في حضر ولا في فرض ولا في نافلة وهذا مخالف لما هو معلوم من الأدلة الأخرى في الكتاب والسنة بوجوب التوجه إلى شطر المسجد الحرام. و يزول الإشكال إذا عرف سبب نزول هذه الآية كما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصبتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا؛ القبلة هي ها هنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطا، وقال بعضنا: القبلة ها هنا قبل الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطا، فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فسكت فأنزل الله تعالى: «وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ»(٥).

---

١ ــ اسباب النزول : الواحدي، ص٤.

٢ ــ البرهان للزركشي، جـ١ ص٢٢.

٣ ــ مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص٤٧.

٤ ــ سورة البقرة: الآية: ١١٥.

٥ ــ اسباب النزول: الواحدي، ص٢٣.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»(١).

وبهذا ندرك أنَّ هذه الآية خاصة بمن صلى وهو لا يعرف القبلة ثم يتبين له خطؤه فإنه لا يعيد الصلاة، وكذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر لا يلزم التوجه إلى القبلة. وبمعرفة سبب النزول زال الإشكال.

٢ ــ قوله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا»(٢).

فظاهر هذه الآية نفي الجناح عمَّن طاف بالصفا والمروة مع أنَّ الطواف بهما فرض، والتعبير بنفي الإثم لا يدل على الفرضية، وإذا عرف سبب النزول زال الإشكال:

فقد كان للمشركين أصنام على الصفا والمروة وكانوا يطوفون بهما فلما جاء الإسلام تحرج هؤلاء عن الطواف بهما فنزلت هذه الآية وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سُئل: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم، لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا»(٣).

---

١ ــ صحيح مسلم جـ١ ص٤٨٦.

٢ ــ سورة البقرة: الآية: ١٥٨.

٣ ــ صحيح البخاري جـ٢ ص١٧١.

فدل سبب النزول على أنَّ المراد بالآية نفي ما وقر في أذهان بعض الصحابة من التحرج من السعي بين الصفا والمروة والاعتقاد بتحريم ذلك لأنه من عمل الجاهلية فنزلت الآية نافية لهذا الإثم ورافعة للتحرج.

٣ ــ ومن فوائد معرفة سبب النزول تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية، إذا عرف سبب نزولها لأنَّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث، والحودث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل ذلك من دواعي ثبوت المعلومات في الذهن وسهولة استذكار عند تذكر بعضها وذلك ما يُعرف في علم النفس بقانون «تداعي المعاني»(١).

٤ ــ معرفة من نزلت فيه الآية بعينه حتى لا يُبرَّا المُتَّهم أو يتهم البرىء وحتى لا يزعم أحد أنَّ المراد بالذم في تلك الآية فلان من الصحابة وهو برىء، أو ينسب إلى آخر صفات مدح في آية أخرى، والمراد بها غيره، وفي تفاسير الشيعة كثير من هذا النوع، فلا تكاد تجد آية فيها مدح وثناء على أحد أيًا كان إلا وألصقوها بأحد أئمتهم، ولا يدعون آية فيها ذم إلا وألصقوها بمخالفيهم أو بأحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم.(٢).

---

١ ــ مناهل العرفان: الزرقاني جـ١ ص١٠٦ــ١٠٧.

٢ ــ والأمثلة على هذا كثيرة جدا، أقتصر على ذكر أمثلة من تفسير واحد من تفاسيرهم هو المسمى (تفسير نور الثقلين) تأليف عبد علي الحويزي فمنها تفسير قوله تعالى: «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ» قالوا: هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام (يقصدون عليَّ ابن ابي طالب رضي الله عنه) يقول: «ماالله عز وجل آية هي أكبر مني. ولا لله من نبأ أعظم مني» نور الثقلين جـ٥ ص٤٩١، وفسَّروا التراب في قول الكافر يوم القيامة « يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا » بقولهم «أي من شيعة علي»جـ ٥ ص٤٩٧، وزعموا أنَّ قوله تعالى « عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ » نزلت في عثمان وأنه عبس في وجه ابن أم مكتوم=

وقد روى البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّ مروان بن الحكم كان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنَّ هذا الذي أنزل الله فيه «وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ»(١). فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري(٢).

= حين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقدمه عليه جـ٥ ص٥٠٨.

وفسَّروا السماء في قوله تعالى « وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ » بأنَّها أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) والطارق هو الروح الذي مع الأئمة و« ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ » رسول الله صلى الله عليه وسلم جـ٥ ص٥٥٠. أما الشفع والوتر في قوله تعالى « وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ » فالشفع الحسن والحسين والوتر أمير المؤمنين عليه السلام جـ٥ ص٥٧١. وفي قوله تعالى « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » قالوا أمير المؤمنين عليه السلام وما ولد من الأئمة جـ٥ ص٥٧٨، وزعموا أنَّ قوله تعالى «أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا» زعموا أنها في عثمان رضي الله عنه والمال اللبد يعني الذي جهَّز به النبي صلى الله عليه وسلم في جيش العسرة جـ٥ ص٥٨٠، وفي قوله تعالى « فَكُّ رَقَبَةٍ » قالوا «ولاية أمير المؤمنين» جـ٥ ص٥٨١ وقالوا عن أصحاب الميمنة هم أصحاب أمير المؤمنين يعني علي بن ابي طالب جـ٥ ص٥٨٤، وقالوا والشمس وضحاها. الشمس رسول الله، والقمر اذا تلاها، أمير المؤمنين جـ٥ ص٥٨٥، وقوله تعالى « يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ » الآيات نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة للمسلمين لكنهم يقولون المراد بها الحسين بن علي عليه السلام جـ٥ ص٥٧٧. وكذا قوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى» التي نزلت في أبي بكر وضي الله عنه قالوا إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام جـ٥ ص٥٩٣. وحادثة الإفك المشهورة ونزول قوله تعالى « إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ .. » الآيات، زعموا أنها نزلت في مارية القبطية وزادوا إفتراء فزعموا أنَّ عائشة هي التي رمت مارية بالزنا جـ٣ ص٥٨١.

والأمثلة كما قلت كثيرة جدا ومعرفة أسباب النزول تكشف تحريضهم وإلحادهم في القرآن الكريم.

١ ـ سورة الاحقاف: من الآية: ١٧.

٢ ـ صحيح البخاري، جـ٦ ص٤٢.

٥ ــ ومن فوائد معرفة أسباب النزول:

معرفة أنَّ سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها.

وبيان ذلك أنَّ اللفظ قد يكون عاماً و يقوم دليل على تخصيصه فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالإجتهاد والاجماع لأن دخول السبب قطعي. وإخراجه بدليل التخصيص اجتهادي، والاجتهاد ظني، ولا يجوز إخراج القطعيِّ بالظني.

ومثال ذلك قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» الآية(١).

وسبب نزول هذه الآية حادثة الإفك المشهورة ولفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب وغير التائب. لكن الآية الأخرى استثنت من تاب فقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»(٢).

فلفظ الآية هنا عام ثم خصص بقوله «إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ»

وبهذا التخصيص نخصص عموم الآية الأ ولى «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ» الآية، لكن التخصيص للآية الأ ولى لا يشمل سبب نزولها وهو قذف عائشة رضي الله عنها فيبقى على عمومه بعدم قبول

---

١ ــ سورة النور: الآية ٢٣.

٢ ــ سورة النور: الآيتين: ٤ــ٥.

توبة من قذفها لأنَّ دخوله في لفظ الآية الأ ولى العام قطعي وإخراجه بما ورد في الآية الثانية إجتهادي ظني والقطعي لا يخرج بالظني.

وبهذا يبقى حكمُ عدم قبول توبة القاذف خاصاً بقذف عائشة وأمَّهات المؤمنين و يكون قبول التوبة في قذف غيرهن، ولذا قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «**إنَّ الذين يرمون المُحصنات الغافلات**» نزلت في عائشة خاصة(١).

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: «هذه في عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة وجعل لمن رمى إمرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التوبة ثم قرأ «اَلَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» إلى قوله «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا»

فجعل لمن قذف إمرأة من المؤمنين التوبة ولم يجعل لمن قذف إمرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة(٢).

والخلاصة أنَّ الثانية خصصت عموم الآية الأ ولى إلا سبب النزول فلا تخصصه لأنَّ دخوله قطعي وتخصيصها ظني.

٦ ــ تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

---

١ ــ رواه الحاكم في مستدركه جـ٤ ص١٠ــ١١، وقال (هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

٢ ــ مجمع الزوائد: الهيثمي، جـ٧ ص٧٩ــ٨٠.

ومثاله قوله تعالى « لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »(١).

فقد أشكل عموم هذه الآية على مروان بن الحكم فقال لبوَّابه اذهب يارافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل إمرىء فرح بما أوتي، وأحبَّ أن يُحمد بما لم يفعل مُعذَّباً، لنُعَذَّبَنَّ أجمعون فقال ابن عباس: ومالكم ولهذا إنَّما دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إيَّاه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس:
« وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ »(٢). كذلك حتى قوله:
«يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟» (٣)(٤).

الإستفادة من معرفة سبب النزول في مجال التربية والتعليم:

نقل المعلومات من ذهن إلى ذهن يحتاج إلى أمرين مهمين:

ـ أولهما: القدرة من المدرس.

ـ ثانيهما: الاستعداد من الطالب.

ولانَجاح للعملية التعليمية ما لم يكن عند مدرس المادة قدرة على التعبير الصحيح عما يُريد إيصاله إلى أذهان الطلاب.

---

١ ـ سورة آل عمران: الآية : ١٨٨.

٢ ـ سورة آل عمران: الآية : ١٨٧.

٣ ـ سورة آل عمران: الآية: ١٨٨.

٤ ـ صحيح البخاري جـ٥ ص١٧٤، ومسلم جـ٤ ص٢١٤٣.

ولانَجاح للعملية ما لم يكن ذهن الطالب مُهيئاً ومُشرعاً أبوابه لدخول المادة العلمية. وفتح ذهن الطالب عملية مشتركة بين الطالب والمدرس.

فالمدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يثير مشاعر الطلاب ويجذب انتباههم، و يُهيء نفوسهم لتقبُّل المادة العلمية، وليست هذه المُهمة بالمهمة السهلة، بل تحتاج إلى جهد كبير، وفطنة لمَّاحة.

والتمهيدُ للدرس من أهمّ مراحله، وهي مرحلة تحتاج إلى خبرة ودراية:

١ ــ للربط بين المعلومات.

٢ ــ لتأسيس قاعدة يقف عليها ذهن الطالب للإنطلاق من معلومة إلى معلومة أو من الكُلّ إلى الجزء، إلى أن يُدرك عناصر الدرس و يستوعبها.

٣ ــ لإثارة انتباه الطلاب وجذب مشاعرهم.

وعرضُ سبب النزول سبيل ناجح لتحقيق هذه الامور في تدريس تلاوة القرآن الكريم، وتدريس تفسير القرآن الكريم، إذ أن سبب النزول ــ كما أشرنا في التعريف ــ لا يخلو من أن يكون حادثة أو سؤالاً، ومثل هذا كاف لجذب انتباه الطلاب وربطهم بالمادة العلمية، وتزويدهم بمعلومة عامة ينطلقون منها إلى التفصيل ومعرفة ما يتعلق بالآية من تفسير لمفرداتها. و بيان لأحكامها وإدراك لأسرار التشريع فيها، وتوثيق صلتهم بالآية.

ذا كان عرضُ سبب النزول طريقة ناجحة للتمهيد لدرس التلاوة ودرس التفسير مثلاً فإنه يُمكن الاستفادة من هذا الأسلوب في سائر المواد بأن يبدأ المدرس بعرض قصة مناسبة تلائم المادة العلمية التي يُريد عرضها، أو يوجه سؤالا يجذب به انتباه الطلاب، ثم ينطلق الى درسه بعد أن يطمئن إلى إقبال الطلاب عليه وتوجه أذهانهم إليه فيسهل حينئذ تلقيهم للدرس، واستيعابهم له.

التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

تعريف التفسير:

اختلف علماء اللغة في لفظ التفسير:

١ ــ فقيل: هو تفعيل من (الفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المُشكِل(١). قال تعالى:

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا »(٢). أي تفصيلا(٣).

٢ ــ وقيل: هو مقلوب من «سَفَر» ومعناه أيضا الكشف يقال: سفرت المرأة سفورا اذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح: أضاء وإنَّما بنوا «فسر» على التفعيل فقالوا «تفسير» للتكثير(٤).

وقال الراغب الأصفهاني: (الفَسْر) و(السَّفر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جُعل الفَسر لإظهار المعنى المعقول.. وجعل السَّفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح(٥).

وفي الإصطلاح:

التفسير: علم يُفهَمُ به كتابُ الله تعالى المُنَّزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم و بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه(٦).

---

١ ــ تهذيب اللغة: الأزهري جـ: ١٢ ص: ٤٠٧.
٢ ــ سورة الفرقان: الآية: ٣٣.
٣ ــ البرهان: الزركشي جـ: ٢ص: ١٤٨.
٤ ــ المرجع السابق جـ: ٢ص: ١٤٧.
٥ ــ المرجع السابق جـ: ٢ص: ١٤٨.
٦ ــ المرجع السابق جـ: ١ص: ١٣ وانظر الإتقان: السيوطي جـ: ٢ص: ١٧٤.

مناهـج التفسـير

لـم يـكـن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا الناس من بعدهم أيضا على درجـة واحدة في فهم القرآن الكريم، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، فقد كان يُشكِلُ على بعضهم ما لا يُشكِل على الآخر.

و يـرجـع ذلـك إلى تفاوتهم في معرفة اللغة ومعرفة ما يحيط بنزول الآية مـن أحداث وملابسات كأسباب النزول، زد على ذلك تفاوتهم في القدرة العقلية شأن البشر كلهم.

ولـو تـسـاوت الأذهان في إدراك معاني القرآن لبطل التنافس وخمدت الهمم لزوال ما يحملهما على القدح وإعمال الذهن والتفكير والتدبر، لكن الله جـلـت حـكـمـتـه جعل ألفاظ القرآن تحتمل أحيانا معاني كثيرة وأمر الـنـاس بـالـتـدبـر والـتـفكر فيها وحث على ذلك فتنافس الصحابة وسائر المـسـلـمين مـن بـعـدهم في تفسيرها لينالوا الأجر العظيم والثواب الجزيل وسلك منهجين أساسيين لتحصل معاني القرآن هما:

١ ـ التفسير بالمأثـور.

٢ ـ التفسير بالـراي.

التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه

تعريفــه:

هـو بيـان معـنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

فـهـو الـتفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل و يتوقف عما لا فائدة في معرفته.

مكانتــه:

هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسير للقـرآن بـكـلام الله تـعـالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيره بكلام الرسـول صلى الله عليه وسلم، فهو المُبيِّنُ لكلام الله تعالى. وإما أن يكون بـأقـوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

لـكـن يـنـبغي أن يُعلمَ أنَّ هذا مشروط بصحة السند عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

و يـنـبـغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله الوضع وسرى فيه الدس والخرافات و يرجع ذلك إلى أمور منها:

١ ــ مـا دسـه أعـداء الإسـلام مثل زنادقة اليهود الذين تظاهروا بالإسلام لدس الأخبار المحرفة التي يجدونها في كتبهم.

٢ ــ مـا دسـه أصـحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة كالرافضة الذين افتروا الأحاديث ونسبوها زوراً و بهتاناً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى أصحابه رضي الله عنهم.

٣ ــ نقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة بغير إسناد مما أدى إلى اختلاط الصحيح بغير الصحيح والتباس الحق بالباطل.

لذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير بالمأثور، وعلى هذا فإن التفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتى لا يغتر به أحد(١).

مصـــادره:

وتسمى (طرق التفسير بالمأثور) وهي:

١ ــ القـــرآن:

تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير ومن أمثلته تفسير الكلمات في قوله تعالى: «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ»(٢). بقوله تعالى: رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ»(٣).

٢ ــ الســـنة:

قال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(٤) وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «السنة تفسر القـــرآن وتبينه»(٥).

---

١ ــ انظر مناهل العرفان: الزرقاني: جـ: ١ص: ٤٩٣.

٢ ــ سورة البقرة: الآية: ٣٧.

٣ ــ سورة الأعراف: الآية: ٢٣.

٤ ــ سورة النحل: الآية: ٤٤.

٥ ــ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي جـ:١ ص: ٣٩.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى. وتفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

٣ ــ أقوال الصحابة:

وإذا لم تجد تفسير القرآن في القرآن ولا في السنة فعليك بتفسير الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أعلم بذلك لما اختصوا به من مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدة القرائن والأحداث والوقائع.

٤ ــ أقوال التابعين:

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الرجوع إلى أقوال التابعين إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فمنهم من عدَّ أقوال التابعين مصدراً من مصادر التفسير بالمأثور ومنهم من عدَّها كسائر أقوال العلماء.

أسباب الاختلاف في التفسير بالمأثور:

وقد وقع الاختلاف بين السلف في التفسير بالمأثور، لكنه اختلاف يسير ومع قلته فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر أنواع الاختلاف.

ومن أسباب وقوع الاختلاف بين السلف في التفسير:

١ ــ أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على قراءة مخصوصة. ومثاله اختلافهم في معنى سكرت من قوله تعالى: « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ »(١)

---

١ ــ سورة الحجر: الآيتان: ١٤ــ١٥.

فقد قال قتادة: من قرأ (سُكِّرت) مشدَّدة يعني سُدَّت ومن قرأ (سُكرت) مخَّففة فإنه يعنى سُحرت(١).

٢ ــ ومنها الاختلاف في الإعراب، فإن للإعراب أثره في تفسير الآية:

ومثاله اختلافهم في قوله تعالى «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ»(٢). فقد اختلفوا في «وَالرَّاسِخُونَ» فقيل عطف نسق على لفظ الجلالة، وقيل مبتدأ والخبر في قوله تعالى «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» فعلى القول الأول أن الراسخين يعلمون تأويله وعلى القول الثاني لا يعلمون وسبب هذا الاختلاف في الإعراب.

٣ ــ ومن أسباب الاختلاف احتمال اللفظ أكثر من معنى كالاشتراك اللغوي، فإن بعض الكلمات لها أكثر من معنى في اللغة كلفظ «قسورة» الذي يُطلق على الرامي وعلى الأسد ولفظ «عسعس» الذي يطلق على إقبال الليل وإدباره ولفظ «النكاح» الذي يُطلق على العقد وعلى الوطء ولفظ «القرء» الذي يُطلق على الحيض وعلى الطهر، وهناك أسباب أخرى غير ذلك.

حكم التفسير بالمأثور:

يجب الأخذ بالتفسير بالمأثور ولا يجوز العدول عنه إذا صح.

---

١ ــ تفسير ابن جرير الطبري جـ: ١٤ص: ١٠.

٢ ــ سورة آل عمران من الآية: ٧.

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في التفسير بالمأثور كثيرة ومن أهمها:

أولا: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

مؤلفه: هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمُل) في طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠(١).

كان عالماً بالقراءات، وإماما في التفسير، بارعاً في الحديث، وشيخاً للمؤرخين، إنفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاو يل واختيارات وله أتباع ومقلدون(٢). وقال ابن خزيمة «ما أعلم على أديم الأ رض أعلم من محمد ابن جرير»(٣). وله مؤلفات عديدة منها: كتاب في القراءات و(تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين و(لطيف القول) جمع فيه مذهبه الذي اختاره، و(تهذيب الآثار) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره: أما تفسيره (جامع البيان عن تأو يل آي القرآن) فلم يُؤلَّف قبله ولا بعده مثله في موضوعه ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالمأثور، و يتميز تفسيره بمزايا منها:

١ ــ اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين.

٢ ــ التزامه بالإسناد في الرواية.

٣ ــ عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

---

١ ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ١١٤.

٢ ــ طبقات المفسرين: السيوطي ص: ٩٦.

٣ ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ١١١.

٤ ــ ذكره لوجوه الإعراب.

٥ ــ دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب حيث عُثر على نسخة مخطوطة منه عند أحد أمراء حائل وهو حمود بين عبيد الرشيد(١). وقد تم طبعه على هذه النسخة في ثلاثين جزء.

وقام الشيخان الفاضلان محمود وأحمد شاكر بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ومراجعته وتخريج أحاديثه وصدر منه ستة عشر جزءا إلى نهاية تفسير الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، ثم توقف العمل، نسأل الله أن يهيء من عباده العلماء من يُتِمَّه.

قال النووي: «لم يُصنِّف أحد مثله»(٢) يعنى تفسير الطبرى.

وقال أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»(٣).

وقال ابن تيمية: «وأمَّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة. وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبي»(٤).

---

١ ــ مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسهر. ترجمة د. عبد الحليم النجار ص: ١٠٩ والتفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٠٧.

٢ ــ الاتقان: السيوطي، جـ: ٢ص: ١٩٠.

٣ ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ١٠٩.

٤ ــ مجموع فتاوى ابن تيمية جـ: ١٣ص: ٣٨٥.

ثانيا: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير:

مؤلفه: هو أبو الفِدَاء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ولد في بُصْرى في الشام سنة ٧٠٠، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه، وكان له صلة وثيقة مميزة بابن تيمية ومناضلة عنه(١).

ومن مؤلفاته: البداية والنهاية، والاجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد العشرة، والكواكب الدراري، وغير ذلك.

تفسيره: يُعَدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور و يُعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

وطريقته في التفسير أن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة ويجمع الآيات المناسبة لها، و يقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد(٢).

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يُردِف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

و ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الاسرائيليات إجمالا أحيانا و بالتفصيل حينا آخر(٣).

و بالجملة يُعدُّ تفسيره ــ رحمه الله تعالى ــ من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طبع مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الأستاذ أحمد شاكر، ومحمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

---

١ ــ طبقات المفسرين: الداودي جـ: ١ص: ١١١.
٢ ــ التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٤٤.
٣ ــ المرجع السابق جـ: ١ص: ٢٤٥.

ثالثا: الدر المنثور: السيوطي:

مؤلفه: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد سنة ٨٤٩، وتوفي سنة ٩١١ وبعد أن تلقى العلوم وحَصَّلَ منها حظّاً وافراً انصرف إلى التأليف في وقت مبكر من حياته، ثم تجرد للتأليف في أواخر عمره فاعتزل الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء.

تفسيره: ألف السيوطي ــ رحمه الله تعالى ــ كتابه (ترجمان القرآن) ثم أراد أن يختصره وعلّل هذا بقوله: رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر مُصدّراً بالعزو والتخريج الى كل كتاب معتبر، وسميته بالدُّر المنثور في التفسير بالمأثور(١).

وطبع هذا التفسير في ستة مجلدات وهو بحاجة ماسة الى عناية طلبة العلم، وخدمته بالتحقيق والتخريج والفهرسة والإخراج.

رابعا: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي:

المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(٢). ولد رحمه الله تعالى في شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن، سنة ١٣٢٥.

تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية، وحين أدّى الحج اتصل بعلماء المملكة فأعجب بهم وعَزم على البقاء في هذه البلاد فأذن له الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى بالتدريس في المسجد النبوي، وحين افتتحت الجامعة

---

١ ــ الدر المنثور: السيوطي: جـ: ١ص: ٢.

٢ ــ ترجم له تلميذه الشيخ عطيه سالم في آخر تفسير الشيخ الشنقيطي.

الإسلامية بالمدينة عُيِّن مُدرِّساً فيها، وعُيِّن عضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣هـ بمكة. وله مؤلفات كثيرة منها (منع جواز المجاز في المُنزَّل للتعبد والإعجاز) و(دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب) وغير ذلك.

التفسير: وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا الى آخر سورة المجادلة، ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطيه محمد سالم وصدر التفسير في عشرة مجلدات.

تميز هذا التفسير بميزتين (إحداهما) تفسير القرآن بالقرآن، وقد التزم أن لا يُبين القرآن إلا بقراءة سَبْعِيَّة ولم يعتمد البيان بالقراءات الشاذَّة (والثانية) بيانُ الأحكام الفقهية ودقة الاستنباط، وحسنُ التفصيل وقوة الاستدلال.

كما تضمن هذا التفسير تحقيق بعض المسائل اللغوية وما يُحتاج إليه من صرف واعراب، وتحقيق بعض المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث.

يُعَدُّ هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديماً وحديثاً ومن أتبعها للسُّنَّة وأبعدها عن البدعة، والقارىء فيه يجد رائحة علماء السلف ونقاء سريرتهم، وصفاء عقيدتهم، ودقة استنباطهم، وسعة علمهم رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

التفسير بالرأي وأهم المؤلفات فيه:

تعريفه: هو تفسير القرآن بالاجتهاد.

أقسامه: ينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين:

الأول: التفسير بالرأي المحمود:

وهو التفسير المُستَمدُّ من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها.

حكمه:

أجاز العلماء رحمهم الله تعالى هذا النوع من التفسير ولهم أدلة كثيرة على ذلك منها:

١ ــ قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ»(١)

وغيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن.

٢ ــ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس بقوله **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** ولو كان التفسير مقصوراً على النقل ولا يجوز الاجتهاد فيه لما كان لابن عباس مزية على غيره.

٣ ــ أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير على وجوه، فدلّ على أنه من اجتهادهم.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز. والله أعلم.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم:

هو التفسير بمجرد الرأي والهوى.

وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل الأهواء والبدع الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الزائفة وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

---

١ ــ سورة محمد: الآية: ٢٤.

حكمــه:

وهـذا النـوع من التفسير حرام لا يجوز، قال ابن تيميه رحمه الله تعالى: «فـأمـا تـفـسير الـقـرآن بمـجرد الرأي فحرام»(١). والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ ــ قوله تعالى: «وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(٢).

وقال سبحانه «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ»(٣).

٢ ــ حـديـث **«مـن قـال في الـقـرآن بـغير عـلـم فـلـيـتـبـوأ مقعده من النار»**(٤).

وحديث **«من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»**(٥).

أهم المؤلفات في التفسير بالرأي:

والمؤلفات في التفسير بالرأي كثيرة منها:

أولا: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري

المؤلف: هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٦) المعتزلي، الملقب بجار الله، ولد سنة ٤٦٧ في زمخشر من قرى خوارزم، بعد ان تلقى العلم رحل

---

١ ــ مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ١٠٥.

٢ ــ سورة البقرة: الآية: ١٦٩.

٣ ــ سورة الاسراء: الآية: ٣٦.

٤ ــ مسند الامام احمد: جـ: ١ص: ٢٣٣ سنن الترمذي جـ: ٥ ص: ١٩٩ وقال «حديث حسن صحيح».

٥ ــ سنن الترمذي جـ: ٥ص: ٢٠٠ وابو داود جـ: ٣ص: ٣٢٠.

٦ ــ انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٣ ص: ٣١٤ــ٣١٦، وطبقات المفسرين: للسيوطي، ص: ١٢٠ــ١٢١.

الى مكة وألّف فيها تفسيره الكشاف، ثم عاد إلى خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ وهو إمام من أئمة اللغة، لا يأنف من انتمائه إلى الإعتزال بل يجاهر به، و يدعو إليه، ومن مؤلفاته (أساس البلاغة) (الفائق في غريب الحديث) و(المُفصَّل) في النحو. وغيرها.

تفسيره: اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم و بلاغته، وخلا هذا التفسير من الحشو والتطو يل، وإيراد الإسرائيليات إلا القليل.

والزمخشري قليل الاستشهاد بالحديث، و يورد أحيانا الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزلة والاستدلال لها وتأو يل الآيات وَفْقَها، و يدس ذلك دسّاً لا يدركه إلا حاذق حتى قال البلقيني «استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش»(١).

وهو شديد على أهل السنة والجماعة و يذكرهم بعبارات الإحتقار و يرميهم بالأ وصاف المقذعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء(٢).

ولهذه الأمور وغيرها نبّه كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المطالعة في تفسيره أو النقل منه، فقال الذهبي «محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله. فكن حذراً من كشافه»(٣).

---

١ ــ الا تقان في علوم القرآن: السيوطي جـ: ٢ص: ١٩٠.

٢ ــ التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٤٦٥.

٣ ــ ميزان الاعتدال: الذهبي جـ:٥ ص:٢٠٣.

وقال على القارىء «وله دسائس خفيت على أكثر الناس فلهذا حرَّم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره لما فيه من سوء تعبيره في تأويله وتعبيره»(١).

ثانيا: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي:

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين(٢). ولد في الرَّيّ سنة ٥٤٤ وتوفي في هَرَاة سنة ٦٠٦ جمع كثيرا من العلوم فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام. وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام، وكان يقول: ليتني لم اشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي(٣).

ومن مؤلفاته: مفاتيح الغيب، والمحصول في علم الأصول، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ومسائل الطب وغير ذلك.

التفسير: يُعدُّ تفسير (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام فقد تأثر كثيرا بالعلوم العقلية فتوسع فيها وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعة والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره بهذه العلوم حتى قيل عنه (فيه كل شيء إلا التفسير)(٢).

---

١ ــ مناهج المفسرين: د. مساعد آل جعفر ومحي هلال ص: ٢١٦ عن طبقات الفقهاء الحنفية: لأبي على القارىء ورقة ٤٩ ب (مخطوط).

٢ ــ انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٢١٣ــ٢١٧ وطبقات المفسرين ــ السيوطي ص: ١١٥ــ١١٦.

٣ ــ الاتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ: ٢ص: ٢٩٠.

ولم يتم الرازي تفسيره هذا، بل قيل أنه بلغ في التفسير إلى سورة الأنبياء، ثم جاء تلميذه الخُوَيِّي فشرع في تكملته ولم يتمه، وأتمه نجم الدين القَمُولي، وقيل ان الخُوَيِّي أكمله، وكتب القَمُولي تكملة أخرى غيرها، ولا يكاد القارىء يلحظ تفاوتا بين أساليبهم(١).

وقد طبع هذا التفسير في ٣٢ جزءاً وتقع في ١٦ مجلداً كبيراً.

ثالثا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان: لابن سعدي:

المؤلف: هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي(٢) ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧هـ توفي والداه وهو صبي فكفلته زوجة أبيه وأدخلته مدرسة تحفيظ القرآن، فحفظه في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم فقرأ الكتب، وحفظ المتون ثم تصدَّى للتعليم ونشر العلم حتى ذاع صيته.

ومن مؤلفاته، (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو خلاصة لهذا التفسير و(القواعد الحسان لتفسير القرآن) و(التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة) و(الفواكه الشهية في الخطب المنبرية).. وغير ذلك. توفي رحمه الله تعالى في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ.

التفسير: يقع هذا التفسير في سبعة مجلدات، ومع هذا فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، و يعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات، ثم يفسرها آية آية، وقد يتحدث عنها إجمالا ثم تفصيلا موجزا. و يعرض عن الاسرائيليات، و يستطرد أحيانا في ذكر

---

١ ــ التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٩٣.

٢ ــ انظر ترجمته في كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد اللطيف آل الشيخ.

فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

رابعا: في ظلال القرآن: سيد قطب:

المؤلف: هو سيد بن الحاج قطب بن ابراهيم(١) ولد سنة ١٩٠٦م تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٣م فزاول مهنة التدريس سنوات، ثم موظفا في وزارة المعارف ثم أوفد الى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر، وكان القصد من إيفاده التخلص من نشاطه في الدعوة، وعاد من أمريكا وقد زاد حماسه ونشاطه للدعوة، حيث انضم إلى جماعة الاخوان المسلمين وكان يُردِّد (لقد ولدت عام ١٩٥١م) وهو عام إنضمامه إليهم.

وحين وقع الصدام بين الأخوان وقادة ثورة يوليو في مصر كان سيد في مقدمة المعتقلين، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً أَلَّف خلالها في السجن تفسيره (في ظلال القرآن) وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبد السلام عارف فتوسط عند جمال عبد الناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونفِّذَ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجاتهم، وقد طُلب من سيد أن يكتب اعتذاراً من جمال عبد الناصر ووعدوه بالعفو إن فعل فرفض وقال: «إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يُقِرُّ به حكم طاغية». وقال حين طلب منه الاعتذار «لن أعتذر عن العمل مع الله» وقال: لماذا

---

١ ــ صدر عن سيد قطب رحمه الله تعالى عدد كبير من المؤلفات من أهمها: (سيد قطب الشهيد الحي) للاستاذ صلاح الخالدي.

استرحم؟ إن سُجنتُ بحق فأنا أرضى حُكْمَ الحقِّ وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن استرحم الباطل».

وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه ومنها «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«المستقبل لهذا الدين».. وغير ذلك.

التفسير: والكتاب وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يسبق اليه سيد من قبل فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة الإيقاع الصوتي والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير.

أما طريقته في ذلك فخلاصتها أنه يُقدِّم لكل سورة بمقدمة يبين فيها موضوع السورة ومحورها، وأهم سِمَاتِها، ثم يعرض لمقاطعها و يربط بينها ببيان المناسبة وهكذا.. مع الاعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركا الخوض فيما ابهمه القرآن مهملا للاسرائيليات.

وطبع التفسير مرات عديدة أخرها وأشهرها في ستة مجلدات كبار.

عاشرا: شروط المفسر وآدابه

ورد النهى عن القول في القرآن بغير علم والوعيد الشديد على من اجترأ على ذلك، ولذلك وضع العلماء شروطاً لمن أراد أن يفسر القرآن ليخرج من هذا الوعيد و يصبح من أهل التفسير والتأو يل.

ولا عجب أن يكون للمفسر شروطا بل العجب أن يجترىء على كلام الله كلُّ من هبَّ ودَبَّ.

وكم يحز في النفس حين نرى كثيراً من الناس يجترؤن على تفسير القرآن بغير علم ولا يحسبون لذلك حسابا فلا تتلكأ ألسنتهم، ولا تَوْجَفُ قُلوبُهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علما، وأصبح من مداركهم القريبة، ومن معارفهم الدانية.

وكم من رجلٍ منهم فسر آية لوعرضت على أبي بكر رضي الله عنه لقال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم»، وإن أحدهم ليفسر الآية ولوسمعه عمر رضي الله عنه لقرعه بدرته.

وقد يقول قائل لم وضع العلماء هذه الشروط؟ أليس القرآن للناس كافة وتدبره واجب على الجميع؟ ونقول لهذا وأمثاله نعم إن تلاوة القرآن حق لكل مسلم، لكنَّ تفسيره للناس و بيانه لهم ليس حقا لكل إنسان، كأى علم آخر فالطب مثلا حق لكل انسان أن يدرسه لكن علاج الناس ليس حقا لكل انسان إلا اذا درس علم الطب وحذقه، فما بالنا نصرخ في وجوه أدعياء الطب ونستعدى عليهم السلطة، ولا ننهر المجترئين على تفسير كلام الله وهم ليسوا من أهل التفسير.

ومجمل الشروط التي وضعها العلماء للمفسر هي:

أولا: سلامة العقيدة:

فإن من انحرفت عقيدته يعتقد رأيا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين(١)، فإذا فسر القرآن أوّلَ الآيات التي تخالف مذهبه الباطل، وحرَّفها حتى توافق مذهبه، ومثل هذا لا يطلب الحقَّ فكيف يُطلبُ منه! ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة وغلاة الصوفية وغيرهم.

ثانيا: التجرد عن الهوى:

فإنَّ الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلاً، و يصرفه عن غيره ولو كان حقاً.

ثالثاً: أن يكون المفسر عالما بأصول التفسير:

وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلابد للمفسر أن يكون عالماً بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها.

رابعا: أن يكون عالما بالحديث رواية ودراية:

إذْ أنَّ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم هي المُبيِّنة للقرآن، بل قد قال الإمام الشافعيُّ رحمه الله تعالى «كلُّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن»(٢). وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى «السنة تفسير القرآن وتبينه»(٣).

---

١ ــ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص: ٨٥.

٢ ــ المرجع السابق، ص: ٩٣.

٣ ــ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي جـ: ١ص: ٣٩.

خامسا: أن يكون عالما بأصول الدين:

وهو (علم التوحيد) حتى لا يقع في آيات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل.

سادسا: أن يكون عالما بأصول الفقه:

إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، و يستدل عليها، و يعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، ودلالة النص وإشارته ودلالة الأمر والنهي.. وغير ذلك(١).

سابعا: أن يكون عالما باللغة وعلومها:

كالنحو والصرف والاشتقاق والبلاغة بأقسمها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

ذلكم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وهذه العلوم مما يتوصل بها إلى معرفة المعنى وخواص التركيب ووجوه الإعجاز فيه.

وهذه الشروط ــ كما ترى ــ عزيزة المنال ولهذا تحَرَّج كثير من السلف من القول في القرآن بغير علم لتمكن الإيمان من قلوبهم واستحضارهم الخوف من الله تعالى، وإذا رأيت من يجترىء على القول في القرآن بغير علم فاعلم أنّه من نقص إيمانه والله المستعان.

---

١ ــ اصول التفسير وقواعده: خالد العك ص: ١٨٧.

آداب المفسر:

وكما أن للمفسر شروطاً فإنَّ له آداباً ينبغي عليه الالتزام بها وهي كثيرة منها:

١ ــ الاخلاص:

بأن يريد بعمله وجه الله، وأن يطلب رضاه، ولا يبتغي بذلك جاها ولا منصبا، فإن ابتغى غير ذلك ضلَّ وأضلَّ.

٢ ــ العمل:

فانه إذا دعا إلى خير فعليه أن يكون أول المؤدين له حتى يلقى القبول من الناس، وإذا نهى عن أمر وجب أن يكون تاركاً له نابذاً إياه فإنَّ الناس اذا رأوه يأمر ولا يفعل و ينهى ولا يمتثل نفروا عنه وعن أقواله وان كانت حقاً.

٣ ــ حسن الخلق:

في قوله وفي فعله وفي سمته، فإن هذا مما يجذب النفوس إليه وإذا انجذبت إليه أقبل عليه السمع والبصر.

فعليه أن يلتزم حسن الخلق في قوله وعباراته فيلزم الكلمة الطيبة ويحذر الكلمات النابية التي ينفر منها السامع و يفزع. وأن يتحرى الصدق في سائر أقواله حتى يطمئن الناس إليها فإنهم إذا جربوا عليه كذبا اضطرب عندهم سائر كلامه.

وعليه أن يلتزم حسن الخلق في فعله فيتواضع لمن هم دونه مقاما ولا يتعالى فلا تطاله أيديهم فلا يستفيدون من علمه، وأن تكون نفسه عزيزة فيترفع عن سفاسف الأمور والتذلل لأصحاب المال أو الجاه فإن العامة إذا

رأو تهافته على ذلك سقط من أعينهم. وعليه أن يجهر بالحق ولا يكتمه فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن حسن الخلق أن يقدم من هو أولى منه وأن يوقرهم حضوراً كانوا أو غائبين فلا يغمط أقوالهم حقها بل يظهرها و يعترف بفضلها ومزيتها، ولا يقدم قوله عليها، لا يُنكر سبقهم له الى رأي رآه، أو قول يقول به.

وعليه أن يلتزم حسن الخلق في سمته بأن يلبس لباس العلماء و يتزيا بزيهم، و يلتزم الوقار في جلوسه و وقوفه ومشيته دون تكلف، ولا يحضر مجالس لهوهم، وأن يتأنى في حديثه حتى يفهم الناس عنه قوله فلا يضطرهم إلى كثرة الاستفسار والجرأة على قطع حديثه. والله المستعان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المصـــادر

١ ــ اتحاف فضلاء البشر: أحمد بن محمد البنا، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢ ــ الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ المطبعة الأزهرية بمصر والطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ، مصطفى البابي الحلبي.

٣ ــ إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن: د. عبد الله أحمد عثمان أحميد، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ.

٤ ــ أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٥ ــ أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٦ ــ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الجكني الشنقيطي عالم الكتب، بيروت.

٧ ــ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار الفكر ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٨ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر ــ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٩ ــ تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين ترجمة د. محمود حجازي ود. فهمي أبو الفضل ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

١٠ــ التذكار في أفضل الأذكار: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ثروت محمد نافع، دار التوحيد ــ مصر.
١١ ــ تذكرة السامع والمتكلم: بدر الدين ابن جماعة ــ دار الكتب العلمية.
١٢ــ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الاولى، ١٣٨٤هـ.
١٣ــ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأ ولى، ١٣٨١هـ.
١٤ــ توضيح الأفكار: محمد بن اسماعيل الصنعاني ــ المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة.
١٥ــ تهذيب اللغة: أبو منصور الأ زهري تحقيق عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٦ــ جامع البيان عن تأو يل آي ا لقرآن: ابن جرير الطبري تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر. وطبعة المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٨هـ.
١٧ــ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي أعاد طبعه دار احياء التراث العر بي ــ بيروت ــ ١٩٦٥م.
١٨ــ الجامع الصحيح: أبو عيسى الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر دار احياء التراث العر بي ــ بيروت.
١٩ــ جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاوي تحقيق د. علي البواب مكتبة التراث ــ مكة ــ الطبعة الاولى ــ ١٤٠٨هـ.
٢٠ــ الجمع الصوتي الأ ول للقرآن الكريم: لبيب السعيد، دار الكتاب

العربي ــ القاهرة ــ ١٣٨٧هـ.
٢١ــجوامع السيرة: ابن حزم ــ تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد دار المعارف بمصر.
٢٢ــالجواهر المضية في طبقات الحنفية: أبو محمد بن ابي الوفاء تحقيق د. عبد الفتاح الحلو ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ.
٢٣ــحلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٢٤ــخصائص القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن الرومي ــ دار طيبة ــ الرياض الطبعة السابعة ــ ١٤١١هـ.
٢٥ــخطط الشام: محمد كرد علي مكتبة النوري ــ دمشق ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٣هـ.
٢٦ــالدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج ــ بيروت ــ مؤسسة الرسالة.
٢٧ــدفاع عن الاسلام: لورا فاغليري ترجمة منير البعلبكي ــ دار العلم للملايين ــ الطبعة الثانية ١٩٦٣م.
٢٨ــالذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب ــ دار المعرفة ــ بيروت.
٢٩ــرحلة ابن بطوطة: المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٦هـ.
٣٠ــرحلة ابن جبير: دار ومكتبة الهلال ــ بيروت ــ ١٩٨١م.
٣١ــزاد المعاد: ابن قيم الجوزية ــ المطبعة المصرية ومكتبتها.
٣٢ــسنن الدارمي: دار الفكر ــ القاهرة ــ ١٣٩٨هـ.
٣٣ــسنن ابن ماجه: دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الثانية.

٣٤ــسير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي. أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط ــ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
٣٥ــسيرة ابن هشام: تحقيق السقا، الابياري، شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٥٥هـ.
٣٦ــشرح السنة: أبو محمد الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ــ رئاسة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ــ الرياض ــ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ.
٣٧ــشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: الحسن العسكري تحقيق عبد العزيز أحمد الناشر ــ مصطفى الحلبي ــ مصر ــ الطبعة الاولى ــ ١٣٨٣هـ.
٣٨ــصحيح البخاري: المكتبة الاسلامية ــ استنبول ــ تركيا ــ ١٩٧٩م.
٣٩ــصحيح مسلم: تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ــ الرياض ١٤٠٠هـ.
٤٠ــطبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد عمر ــ مكتبة وهبه الطبعة الاولى.
٤١ــطبقات المفسرين: شمس الدين الداودي تحقيق علي محمد عمر ــ مكتبة وهبه الطبعة الاولى.
٤٢ــالطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية مطبعة الاتحاد الشرقي ــ دمشق.

٤٣ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تحقيق: ابراهيم عطوه عوض ــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ــ الطبعة الاولى ١٣٨١هـ.
٤٤ــ فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ــ تصحيح عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد عبد الباقي ــ دار الفكر ــ تصوير عن الطبعة السلفية.
٤٥ــ فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين السخاوي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.
٤٦ــ فضائل القرآن: ابن كثير الدمشقي ــ دار الاندلس.
٤٧ــ فنون الافنان في عيون علوم القرآن: ابن الجوزي ــ تحقيق حسن ضياء الدين عتر دار البشائر الاسلامية ــ بيروت ــ الطبعة الاولى ــ ١٤٠٨هـ.
٤٨ــ الفهرست: ابن النديم: دار الباز ــ مكة المكرمة.
٤٩ــ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ــ المكتب المصري الحديث، القاهرة.
٥٠ــ الكامل في التاريخ: ابن الاثير ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
٥١ــ كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم: د. محمد مصطفى الأعظمي ــ المكتب الاسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ــ بيروت.
٥٢ــ كُتّاب الوحي د. أحمد عبد الرحمن عيسى ــ دار اللواء ــ الرياض ــ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
٥٣ــ الكشاف: الزمخشري ــ طبعة انتشارات آفتاب ــ تهران ــ وطبعة دار المعرفة بيروت.

٥٤ــ كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي الهيثمي تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ.
٥٥ــ كشف الظنون: حاجي خليفة ــ دار العلوم الحديثة ــ بيروت.
٥٦ــ لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي دار احياء العلوم بيروت ــ الطبعة الاولى ــ ١٩٧٨م.
٥٧ــ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ــ مكتبة المعارف ــ الرياض الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ.
٥٨ــ مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح دار العلم للملايين الطبعة الثامنة ١٩٧٤م.
٥٩ــ مجمع الزوائد: علي الهيثمي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٦٠ــ مجموع الفتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ــ مطابع الرياض ــ الطبعة الاولى ــ ١٣٨١هـ.
٦١ــ مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد الحسيني ــ د. سعاد ماهر دار النشر لجامعة القاهرة ١٩٨٩م.
٦٢ــ مدخل الى القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز ــ دار القلم ــ الكويت الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٦٣ــ المدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد محمد أبو شهية، الطبعة الثانية.
٦٤ــ مذاهب التفسير الاسلامي: اجنتس جولد تسهير ترجمة د. عبد الحليم النجار، دار إقرأ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٥ــ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: ابو شامة المقدسي تحقيق طيار قولاج، دار صادر ــ بيروت ١٣٩٥.
٦٦ــ المستدرك: الحاكم النيسابوري ــ دار الكتب العلمية.
٦٧ــ مسند الامام احمد بن حنبل ــ المكتب الاسلامي، دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ. الطبعة الرابعة بتحقيق وتخريج أحمد محمد شاكر.
٦٨ــ مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الاولى ــ ١٣٩٢هـ.
٦٩ــ المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، دار الباز، مكة المكرمة ــ الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ.
٧٠ــ معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار احياء التراث العربي ــ بيروت الطبعة الأخيرة.
٧١ــ معجم المفسرين: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ.
٧٢ــ مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده مراجعة وتحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب ابو النور ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة.
٧٣ــ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم الكويت ــ الطبعة الاولى ــ ١٣٩١هـ.
٧٤ــ المقنع: أبو عمرو الداني تحقيق/ محمد احمد دهمان، دار الفكر ــ دمشق ــ ١٤٠٣هـ.
٧٥ــ مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم آل جعفر، ود. محي هلال

السرحان، وزارة التعليم العالي ــ العراق، الطبعة الاولى، ١٩٨٠م.
٧٦ــ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة.
٧٧ــ الموافقات في أصول الشريعة ــ أبو اسحاق الشاطبي ــ بشرح عبد الله دراز وترقيم محمد عبد الله دراز، دار المعرفة ــ بيروت.
٧٨ــ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: على وفتحية البجاوي، دار الفكر العربي.
٧٩ــ النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم ــ الكويت، الطبعة الرابعة ــ ١٣٩٧هـ.
٨٠ــ النشر في القراءات العشر ــ ابن الجزري ــ دار الكتب العلمية بيروت.
٨١ــ نور الثقلين: (عبف علي) الحويزي دار الكتب العلمية ــ قم ــ ايران.
٨٢ــ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الاثير تحقيق محمود الطناحي المكتبة الإسلامية.
٨٣ــ الهدى والبيان في أسماء القرآن: صالح بن ابراهيم البليهي، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ المطابع الأهلية للأوفست ــ الرياض.

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمـــة	٥
أولا: تعريف علوم القرآن الكريم	
المعجزة الكبرى	٧
تعريف علوم القرآن	١٧
تعريف العلوم	١٨
تعريف القرآن	١٨
التعريف بالقرآن لغة	٢٠
التعريف بالقرآن اصطلاحا	٢٣
الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي	٢٤
اسماء القرآن الكريم وصفاته	٢٧
تعريف علوم القرآن بالمعنى الاضافي	٣٢
تعريف علوم القرآن كفن مدون	٣٣
موضوع علوم القرآن الكريم	٣٣
ثمرة علوم القرآن الكريم	٣٣
ثانيا: نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها	
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	٣٥
في عهد الصحابة رضي الله عنهم	٣٥
في عهد التابعين رحمهم الله تعالى	٣٨
بداية التأليف في علوم القرآن الكريم (عهد التدو ين)	٤٠
ظهور اصطلاح علوم القرآن الكريم	٤٥
أهم المؤلفات في علوم القرآن كفن مدون (قديما)	٤٦
أهم المؤلفات في علوم القرآن كفن مدون (حديثا)	٤٨

ثالثا: فضائل القرآن الكريم وآداب تلاوته

فضائله العامة:

في القرآن ٥٢
في السنة النبوية ٥٤
فضائل بعض سوره وآياته ٥٥
فضل تلاوتـه ٥٦
فضل استماعه ٥٨
فضل الاجتماع لتدارسه ٥٨
آداب التلاوة والاستماع ٥٩

رابعا: خصائص القرآن الكريم

اولا: خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته ٦٣
ثانيا: خصائص تتعلق بأسلوبه ولغته ٦٧
ثالثا: خصائص عامة ٦٩

خامسا: جمع القرآن الكريم

أنواعه ٧٣

جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

الدليل عليه ٧٣
حكمـه ٧٤
فضلـه ٧٤
حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ٧٤
حفظ الصحابة رضي الله عنهم ٧٥
إشكـال ٧٧
جـوابه ٧٨
من دواعي حفظ الصحابة للقرآن ٧٩
حفظ التابعين رحمهم الله تعالى ٨٠
حفظ القرآن في العصر الحديث ٨١

مزايا جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور ٨١
جمع القرآن بمعنى كتابته وتدو ينه
في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ٨٣
كُتَّاب الوحي ٨٣
صفتــه ٨٤
أدوات الكتابة ٨٤
مزايــاه ٨٥
في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ســببه ٨٨
تاريخــه ٨٩
أسباب اختيار زيد رضي الله عنه لجمعه ٨٩
منهجــه في الجمع ٩٠
مميزات هذا الجمع ٩٢
مكانتــه ٩٢
تسمية المصحف ٩٣
خبر هذا المصحف ٩٣
في عهد عثمان رضي الله عنه ٩٤
ســببه ٩٤
تاريخــه ٩٥
فكــرة الجمــع ٩٥
اللجنــة المختارة ٩٦
المنهج لهذا الجمع ٩٦
مزايــاه ٩٩
الفروق بين جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ١٠٠
إنفــاذ المصاحــف ١٠٢
موقف الصحابة من هذا الجمع ١٠٣

عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها ١٠٥
خبر هذه المصاحف ١٠٦
جمعه بمعنى تسجيله تسجيلا صوتيا ١٠٩
المراد بـــه ١١٢
أدواتـــه ١١٢
أسبابـــه ودواعيـــه ١١٢
تاريخـــه ١١٣
بدء الطبع وكيفية التسجيل ..... ١١٣—١١٤
القـــراء ١١٤

ترتيب سور القرآن الكريم وآياته

سور القرآن الكريم ١١٥
طريق معرفة السورة ١١٦
عدد سور القرآن ١١٦
أسماء السور ١١٦
مصدر التسمية ١١٨
أقسام السور ١١٨
أقوال العلماء في ترتيب السور ١١٩
حكمة تسوير القرآن ١٢٥

آيات القرآن الكريم:

تعريـــف الآيـــة ١٢٧
إطـــلاق الآيـــة ١٢٨
عدد آيات القرآن الكريم ١٢٨
ترتيب الآيـــات ١٢٩
طريق معرفة بداية الآيات ونهاياتها ١٣١
فوائد معرفة الآيات ١٣٢
فوائد عامـــة ١٣٣

سادسا: المكي والمدني:

عناية العلماء بالمكي والمدني ١٣٨

انواع المكي والمدني ١٣٩

السور المكية والسور المدنية ١٣٩

طريق معرفة المكي والمدني ١٤٠

اقوال العلماء في الفرق بين المكي والمدني (تعريف المكي والمدني) ١٤٢

- ضوابط السور المكية ١٤٤

- مميزات السور المكية ١٤٦

- ضوابط السور المدنية ١٤٧

- مميزات السور المدنية ١٤٨

فوائد معرفة المكي والمدني ١٤٩

سابعا: أسباب النـــزول

عناية العلماء بأسباب النزول ١٥١

تعريف سبب النزول ١٥٣

طريق معرفة سبب النزول ١٥٥

فوائد معرفة سبب النزول ١٥٧

الاستفاد من معرفة سبب النزول في مجال التربية والتعليم ١٦٤

ثامنـا: التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه:

تعريف التفسير ١٦٧

مناهج التفسير ١٦٨

التفسير بالمأثور وأهم المؤلفات فيه ١٦٩

تعريفـــه ١٦٩

مكانتـــه ١٦٩

مصـــادره ١٧٠

أسباب الإختلاف فيه ١٧١

حكمـــه ١٧٢

أهم المؤلفات فيه ١٧٣
أولا: جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري ١٧٣
ثانيا: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١٧٥
ثالثا: الدر المنثور: السيوطي ١٧٦
رابعا: أضـــواء البيان: الشنقيطي ١٧٦
تاسعا: التفسير بالرأي وأهم المؤلفات فيه:
تعريفـــه ١٧٨
أقسامـــه ١٧٨
التفسير بالرأي المحمود وحكمه ١٧٨
التفسير بالرأي المذموم وحكمه ١٧٨ــ١٧٩
أهم المؤلفات في التفسير بالرأي ١٧٩
أولا: الكشاف: الزمخشري ١٧٩
ثانيا: مفاتيح الغيب: الرازي ١٨١
ثالثا: تيسير الكريم الرحمن: ابن سعدي ١٨٢
رابعا: في ظلال القرآن: سيد قطب ١٨٣
عاشرا: شروط المفسر وآدابه :
شروط المفسر ١٨٦
آداب المفسر ١٨٨
المصـــــادر ١٩٠
المحتويـــات ١٩٨